



الإشاعة

الدكتور

أحمد نوفل

الجامعة الاردنية: كلية الشريعة

دار الفرقان



توزيع

دار الفرقان للنشر والتوزيع

عمان ص.ب ٩٢١٥٢٦ - هاتف ٦٦٠٩٣٧

الإشاعة

الطبعة الثالثة
حقوق الطبع محفوظة
١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م
الرقم المتسلسل (٤١)

الطابعون
جمعية عمال المطابع التعاونية
عمان - تلفون ٣٧٧٧١ - ص.ب ٨٥٧

سلسلة الحرب النفسية

(١)

الاشاعة

تأليف

الدكتور أحمد نوفل

الجامعة الأردنية - كلية الشريعة

دار الفرقان للنشر والتوزيع

جبل الحسين - شارع خالد بن الوليد

ص.ب (٩٢١٥٢٦)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد

عن النفس الانسانية يصدر السلوك ، وتنبتق
المواقف ، وهي بما تحوي من عقائد وأفكار ومفاهيم
مناطق الوجود الانساني وسبب التغيير الرباني :

« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

والنفس عالم واسع هائل قابل للتغير والتشكل
والصعود والهبوط ، والله تعالى جعلها كذلك ليبتلي
الانسان ويمتحنه كما قال سبحانه : « ونفس وما
سواها ، فآلهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ،
وقد خاب من دساها » .

والله عز وجل أمر الانسان أن ينظر في نفسه ، ليرى
تلك الآية المعجزة : « وفي الأرض آيات للموقنين ، وفي
أنفُسكم أفلا تبصرون ؟ ! » . « سنريهم آياتنا في الآفاق
وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .

ومنذ فجر التاريخ والصراع دائر بين الناس على
كل شيء ، وعلى السيطرة على النفس الانسانية باعتبارها
مجالاً مهماً من مجالات الصراع .

ولقد حاول العلم أن يتعرف الى النفس الانسانية ،
ثم وظفت هذه المعرفة في محاولة السيطرة على هذه
النفس ، وسميت هذه المحاولات أو هذا اللون من
الصراع ، الحرب النفسية ، أو حرب المعنويات ، أو
حرب الكلمة والمعتقد ، وهي ما عرفتة أجهزة الاعلام
باسم الحرب الباردة ، انطلاقاً من أنها لا يستعمل فيها
النار ، ووسائل التدمير المادية ، ولا يسمع فيها دوي
الانفجارات ، ولا يقع فيها صرعى أو جرحى ، ومع هذا
فهي الأهم والأطول والأخطر .

• والواقع أن العلم العسكري وخبرة الحروب
يجمعان على أن الحرب النفسية سلاح فعال وشديد
التأثير في المعركة ، ويساهم مساهمة كبيرة مع أعمال
القتال وغيرها من أساليب الصراع في تحقيق الانتصار
بسرعة وبأقل الخسائر في الأرواح والمعدات .

والحرب النفسية أخطر أنواع الحروب لأنها
تستهدف في المقاتل عقله وتفكيره وقلبه ، لكي تحطم
روحه المعنوية وتقضي على ارادة القتال فيه ، وتقوده
بالتالي نحو الهزيمة .

ومن هنا جاءت خطورة سلاح الحرب النفسية الذي أصبح في العصر الحديث يحتل مكان الصدارة بين أسلحة الحروب ، والذي يؤمن العسكريون بأنه قد يكون أشد أثراً من الأسلحة الأخرى في تحقيق هدف النصر بسرعة وبأقل الخسائر ، وهذا هو ما عبر عنه الرسول القائد عليه الصلاة والسلام بقوله : « خلّ عنه يا عمر ، فوالذي نفسي بيده لكلامه أشدّ عليهم من وقع النبل » .

ولقد نوه القادة والزعماء بأهمية الحرب النفسية وأثرها في إدارة الصراع وفي نتائجه ، فمن ذلك قول القائد الألماني رومل : « ان القائد الناجح هو الذي يسيطر على عقول أعدائه قبل أبدانهم » .

وقول الجنرال ديقول : « لكي تنتصر دولة ما في حرب عليها أن تشن الحرب النفسية قبل أن تتحرك قواتها الى ميادين القتال ، وتظل هذه الحرب تساند هذه القوات حتى تنتهي من مهمتها » .

ويقول تشرشل : « كثيراً ما غيرت الحرب النفسية وجه التاريخ » .

وتعرف الحرب النفسية بأنها :

« الاستخدام المخطط للدعاية أو ما ينتمي إليها من الإجراءات الموجهة الى الدول المعادية أو المحايدة أو الصديقة بهدف التأثير على عواطف وأفكار وسلوك شعوب هذه الدول بما يحقق للدولة الموجهة أهدافها » (١) .

« والاشاعات جزء حيوي من الحرب النفسية ، وهي وسيلة البلبلة في الحرب والسلم . والبلبلية الفكرية والنفسية مفتاح الى تغيير الاتجاهات واللمب بالعقول ثم السيطرة والتحويل الفكري ، وغسل الدماغ » .

والاشاعة سلاح بيد المنحرفين يستعمل للسيطرة على الاتجاهات الشعبية وزعزعة الوحدة الفكرية والانتماء والتماسك الاجتماعي » (٢) .

ونحن في العالم الاسلامي نتعرض لخطر حرب نفسية واكثرها تركيزاً وشراسة ، وذلك من منطلق

(١) المدخل الى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الاسلامية ، تاليف اللواء جمال الدين محفوظ ، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب

لسنة ١٩٧٦ ، ص ١٢٠ - ص ١٢١ .

(٢) غسل الدماغ لغري الدباغ ، ص ٢٧٠ .

كوننا حَمَلَة الرسالة الخاتمة التي اراد الله لها أن تظهر على الدين كله ، ولكوننا اصحاب أعظم ثروات ينتظر لأصحابها ان هم تحركوا في الاتجاه السليم أن يسودوا العالم . ولذلك شنت هذه الحرب لتهديم النفوس ، وشل الارادات ، وتمييع العزائم ، ليبقى الشعور بالتبعية والهزيمة الروحية والفكرية ، وليبقى الشباب والمفكرون والسياسيون لاهثين وراء المعسكرات ، وهم لو صحّت منهم النوايا كانوا السادة والقادة ، وجاءتهم الأمم تقبس منهم وتلتبس الهدى والنور .

هي اذن الحرب النفسية الدائبة : « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا » البقرة ٢١٧ .

« ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً » آل عمران ١٨٦ .

ولقد آتت هذه الحرب أكلها ، ووصلت الى نتائجها لأول مرة في تاريخ المسلمين : هزيمة روحية ، وشعوراً بالتفوق المنهجي الغربي .

والدعاة الى الله في العالم الاسلامي هم رأس الحربة ،
والطليعة التغيرية ، ولذلك جُردت لهم وحدهم حملة
مركزة من هذه الحرب ، وأطلقت من حولهم الاشاعات
تبغي تشويه صورتهم ، فلا يعودون يمثلون دور الريادة
الفكرية . ولقد نجح الأعداء في الجولة الأولى لهذه
الحرب ، الا أن حدة الهجمة بدأت تنكسر ، وينعكس
المدء لصالح الدعاة .

ومن هنا ، ولخطورة الحرب النفسية ، كان لا بد
من المامة سريعة بأهم وسائلها وهي الاشاعة . فكانت
هذه الصفحات ، على أن نعاود الكتابة في الموضوع باذن
الله ، بصورة أشمل ، ولنتحدث عن سائر وسائل
الحرب النفسية .

والموضوعات التي بحثناها باختصار في هذه العجالة
عن الاشاعة هي :

- ١ - تعريف الاشاعة .
- ٢ - الاشاعة في التاريخ .
- ٣ - كيف تنشأ الاشاعة وأسباب ظهورها .

- ٤ - دوافع الاشاعة .
- ٥ - الاشاعة والتذكر .
- ٦ - أنواع الاشاعة .
- ٧ - تحليل الاشاعة .
- ٨ - الاشاعة في السلم والحرب .
- ٩ - استراتيجية وتكتيك الاشاعة .
- ١٠ - الاشاعة والمثل والنكتة .
- ١١ - الاشاعة والروح المعنوية .
- ١٢ - الاشاعة والرأي العام .
- ١٣ - الاشاعة بيننا وبين العدو الاسرائيلي .
- ١٤ - خطر الاشاعة .
- ١٥ - تفنيد ومقاومة الاشاعة .

واني اذ احمد الله تباركت أسماؤه وتقدسيت صفاته
على ما وفق وأعان في انجاز هذه الصفحات لأسجل على
نفسي التقصير قبل أن يسجل علي ، فاني أعرف من

نفسى قلة الزاد وضعف الملكة ، وقلة الجلد ، ونقص
الخبرة ، واموراً أخرى ، ولكنى منه سبحانه ألتمس
العفو عن قلة الاحسان في خدمة قضايا المسلمين وما
يشغلهم ، ثم أعتذر من اخواني القراء - بارك الله فيهم
ورزقنا واياهم القبول - سائلا منهم الدعاء والتوجيه •

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت
أستغفرك وأتوب اليك •

تعريف الاشاعة

تعريف لغوي :

قال في اللسان تحت مادة «شيع» :

« شيعت فلاناً اتَّبَعْتُهُ » • وشايعة : تابعة وقتوَّاه
ويقال : شاعك الخير : أي لا فارقك • ومنه تشييع
النار بالقاء الحطب عليها • وشيعة : خرج معه عند
رحيله ليودعه •

وتشيَّعَ في الشيء : استهلك في هواه • والشيوخ :
ما أوقدت به النار •

يقال : شيَّعَ الرجلَ بالنارِ : أحرقه • والمشييع :
العجول • والشُّياع : صوت قصبَة الرّاعي وشبابته •
وأشاع بالابل وشايح بها وشايعة مشايعة : أهاب
بمعنى صاح ودعا •

وشاع الشيب : انتشر • وشاع الخبر : ذاع •
وأشاع ذكر الشيء : أطاره • أشعت المال :
فرقته •

والشاعة : الاخبار المنتشرة • ورجل مشيع : أي
مذيع لا يكتف سرّاً • وشاع الصدع في الزجاجة :
استطار ، أ • هـ (١) •

وقال الراغب الاصفهاني في المفردات : شيع :
الشياع : الانتشار والتقوية • يقال : شاع الخبر أي
كثر وقوي • وشاع القوم : انتشروا وكثروا • وشيعت
النار بالحطب : قويتها • والشيعة : من يتقوى بهم
الانسان وينتشرون عنه ، ومنه قيل للشجاع مشيع •
يقال : شيعة وشيع وأشيع • قال تعالى : « وان من
شيعة لابراهيم » • « هذا من شيعته وهذا من عدوه »
« وجعل أهلها شيعاً » • « في شيع الأولين » • ولقد
أهلكنا أشياعكم ، (٢) •

قلت : وفات الراغب أن يذكر الآية الكريمة : « ان
الذين يحبون أن تشيع الفاحشة » •

وفي معجم مقاييس اللغة نلاحظ أن المادة شع أيضاً
تأتي بمعنى قريب من معنى مادة شيع فهي بمعنى :

(١) لسان العرب لابن منظور ، ج ١٠ ص ٥٦ •
(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب ، ط الحلبي ، ص ٢٧٣ •

تفرق وانتشر ، ومن ذلك شعاع الشمس • والشعاع
- بالفتح - : الدم المتفرق (٣) •

والمعنى المشترك البارز بين هذه المعاني اللغوية لمادة
شيع هو الانتشار والتكاثر ..

التعريف الاصطلاحي :

هناك عدة تعريفات للاشاعة تضمنتها المراجع التي
كتبت عن هذا الموضوع ، وهذه بعض تلك التعريفات :
عرفها أولبورت في كتابه سيكولوجية الاشاعة
بأنها :

« كل قضية أو عبارة مقدمة للتصديق ، تتناقل
من شخص الى شخص ، دون أن تكون لها معايير أكيدة
للصدق » (٤) •

وقد ترجم صلاح نصر تعريف أولبورت ترجمة
أخرى فقال :

« هي اصطلاح يطلق على رأي موضوعي معين كي
يؤمن به من يسمعه ، وهي تنتقل عادة من شخص الى

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، ج ٣ ص ١٦٧ •

(٤) سيكولوجية الاشاعة ، وليام أولبورت ، ترجمة صلاح غير ، ص ١٥ •

آخر عن طريق الكلمة الشفهية دون أن يتطلب ذلك مستوى من البرهان أو الدليل» (٥) .

وفي تعريف آخر قالت عنها مجلة الفكر العسكري بأنها :

« بث خبر من مصدر ما في ظرف معين ، ولهدف ما يبيغيه المصدر دون علم الآخرين ، وانتشار هذا الخبر بين أفراد مجموعة معينة » (٦) .

أو هي :

« الأحاديث والأقوال والأخبار التي يتناقلها الناس ، والقصص التي يروونها دون التثبت من صحتها أو التحقق من صدقها » (٧) .

ويعرفها اللواء جمال الدين محفوظ بأنها :

« أخبار مشكوك في صحتها ويتعذر التحقق من أصلها ، وتتعلق بموضوعات لها أهمية لدى الموجهة

(٥) الحرب النفسية لصالح نصر ، ج ١ ص ٣٠٢ .

(٦) مجلة الفكر العسكري ، السنة الرابعة عدد ١ سنة ١٩٧٦ .

(٧) مجلة الأقصى العسكرية .

اليهم ويؤدي تصديقهم أو نشرهم لها الى اضعاف روحهم
المعنوية « (٨) .

أو هي :

« النبأ الهادف الذي يكون مصدره مجهولا ، وهي
سريعة الانتشار ذات طابع استفزازي أو هادئ حسب
طبيعة ذلك النبأ » (٩) .

وكما نلاحظ فان هناك رابطاً بين المعنى اللغوي
والمعنى الاصطلاحي ، وعاملاً مشتركاً هو الانتشار
والتزايد .

-
- (٨) المدخل الى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الاسلامية ، ص ١٢٢ .
(٩) الراي العام الاسلامي وقوى التحريك لزهير الاعرجي ، ص ٤٤ .

الاشاعة في التاريخ

كما نستخلصها من قصص القرآن

الاشاعة قديمة قدم الجماعة الانسانية ، وينتظر أن تعيش ما عاش الانسان ، ولا يكاد يخلو مجتمع منذ فجر التاريخ من اشاعة ، لان النفس الانسانية فيها القابلية لهذا الامر ، وفيها الاستعداد ان لم تنهض بالقدر الكافي .

وبقراءة في تاريخ الأنبياء عليهم السلام وقصصهم نجد أن كلا منهم جوبه بأشاعة وقاومه قومه بفرية يطلقونها حوله ، ويبثونها ، ويتوارثونها أحياناً .

فهذا نوح عليه السلام اتهم من قومه بأنه : « يريد أن يتفضل عليكم » . المؤمنون ٢٤ ومعنى يتفضل يتزعم ويتأمر . ولاحظ أن الخطاب موجه للجمهور وليس موجهاً به نوح ، وفي هذا دلالة هي أن المقصود من الحملة هو المحافظة على الجماهير في وضع معين ، وفي حالة متجمدة على ما هي عليه ليستمر ابتزازها وتسخيرها .

وقد اتهموه وجماعته المؤمنة اتهاماً آخر فقالوا :
« بل نظنكم كاذبين » هود ٢٧ ومرة ثالثة رموه بالضلال
مؤكددين اتهامهم هذه المرة ، وليسوا ظانين مترددين
كالمرة السابقة : « انا لنراك في ضلال مبين » .
الأعراف ٦ .

ثم يشاع عنه الجنون ، عليه السلام : « وقالوا
مجنون وازدجر » القمر ٩ .

وهود عليه السلام يواجه التقولات والتخرصات
الشبيهة بما لفق لأخيه نوح ، فيرميه قومه بالطيش
والخفة : « انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين »
الأعراف ٦٧ .

وهنا ملاحظة نفسية على طبيعة المسيح ، أنه في
المرتين حين الاتهام بالكذب واشاعته على الأنبياء كان
القول بصيغة «نظن» ، ذلك أن صدق الأنبياء معروف
مشهور في أقوامهم من خلال التجربة الطويلة ، ولذلك
لا يكون من الكياسة ولا من الدهاء الجزم والقطع به
أمام الجماهير ، والقطيع من الرعاع الذين يتبعون الملائكة ،
فيطلقون الاشاعة بصيغة «نظن» ، والنتيجة هي هي .

أما في القذف بالضلال أو السفاهة فيجزمون
ويؤكدون لأن هذه الاتهامات محتملة التصديق والتلبيس
على قطعانهم لمخالفة الأنبياء واقع القوم وعقائدهم ، ولا
يفعل هذا في نظرهم الا سفيه أو ضال ، فكان التأكيد
في اطلاق الاشاعة •

ويا لدقة القرآن ولقطاته النفسية !!

وملاحظة أخرى أن الملا هم الذين كانوا يتولون
تصنيع واطلاق ونشر الاشاعات ، لأنهم أصحاب المصلحة
في معارضة دعوات الأنبياء حتى تبقى لهم السيطرة
على القطعان ، ثم يردد القوم ما أطلق الملا من اشاعات
بلا وعي وتبعية عمياء •

ثم يشيع قوم هود عنه أنه أصيب في عقله نتيجة
غضب بعض آلهتهم عليه ، ولذلك صار يهذي بما
يخالف المجتمع وتقاليده ومألفاته :

« وقالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي
آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين • انْ نقولُ
الا اعتراك بعضُ آلهتنا بسوء قال اني أشهدُ اللهَ
واشهدوا أني بريء مما تُشركون » هود ٥٣ - ٥٤ •

وشريط قصص الأنبياء يُظهر أن سلسلة الرسل الكرام كلها واجهت هذه المفتريات ، فلا نطيل بسردها وعرضها في حلقاتها المتشابهة ، ونعرض نماذج مما لم يكرر ، فهذا موسى عليه السلام يحمل دعوة ربه الى فرعون وملائه وقومه ، فيملاً فرعون سماء مصر ويسم الأجرء من حوله بما يطلق عليه من شائعات فيقول :

« انّ هذا لساحر عليم يريد أن يُخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون » الشعراء ٣٤ . ولقد تكرر ذكر اتهام فرعون لموسى بالسحر مرات عديدة في القرآن وبصور متعددة ، مرة على لسان فرعون ، وبصيغ متعددة ، ومرة على لسان الملأ ، وبصيغ متعددة أيضا ، وبعد ذلك يردد الشعب المستغفل .

ومما قال فرعون : « أَجِئْتَنَا لَتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بسحرِكَ يا موسى » طه ٥٧ .

وفي آية أخرى يعبر فرعون عن اتهامه لموسى بالظن فيقول : « اني لأظنك يا موسى مسحوراً » الاسراء ١٠١ . وفي مرة أخرى يردد فرعون التهمة بين السحر والجنون فيقول كما في سورة الذاريات ٣٩ : « فتولى بركنه وقال ساحرٌ أو مجنون » .

ومرة أخرى يجمع الى السحر تهمة الكذب : « ٠٠ الى
فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب » غافر ٢٤ .
وأما الملأ فقد كرروا نفس مقولة فرعون : « قال
الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم »
الأعراف ١٠٩ .

ثم أضاف القرآن التهمة الى القوم بأجمعهم حيث
يظهر أن الاشاعة لقيت تصديقاً منهم وقبولاً : « فلما
جاءهم موسى بآياتنا قالوا ان هذا الا سحر مفترى »
القصص ٣٦ « فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا
لسحر مبين » يونس ٧٦ .

« قالوا : ان هذان لساحران يريدان أن يُخرجاكُم
من أرضكُم بسحرهما ويذهبا بطريقكُم المثلث » طه ٦٣ .
« قالوا : سحران تظاهرا وقالوا : اننا بكل
كافرون » القصص ٤٨ .

ولقد انطلت عليهم الخدعة حتى بعد أن رأوا الآيات
وخرب اقتصادهم وزرعهم وجاءوا يرجون موسى أن
يدعو ربه لرفع الاصر عنهم ، حتى هذه اللحظة الحرجة

وهم يرددون الفرية : « وقالوا : يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهَدَ عندك ٠٠٠ ، الزخرف ٤٩ .

ولو تأملنا الآيات لوجدنا ان ما أشيع حول موسى ليس فرية واحدة ولكنها مجموعة افتراءات منها : السحر ، والكذب ، والافساد في الأرض : « اتَذَرُ » موسى وقومه ' ليفسدوا في الأرض ' ، والجنون ، واخراج المصريين من أرضهم ، وقد تكررت هذه التهمة بصيغ عدة : « أجئتنا لتخرجنا من أرضنا » طه ٥٧ ، « يريدان أن يخرجاك من أرضكم » طه ٦٣ ، « يريد أن يخرجك من أرضكم » الشعراء ٣٥ .

ثم تهمة أخرى حاولوا بها الطعن في أهداف الرسالة وإن موسى ما جاء الا للزعامة والظهور : « أجئتنا لتلفيتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكونَ لكما الكبرياءُ في الأرض » يونس ٧٨ .

واشاعة سابعة أطلقها فرعون من حول موسى وصفه فيها بأنه : « مَهِينٌ » ولا يكادُ يُبَيِّنُ » الزخرف ٥٢ . واشاعة أخرى أن موسى ينكر الجميل والمعروف : « المَ نُرَبِّكَ فينا وليدًا ولبثتَ فينا من عمرِكَ سنين » الشعراء ١٨ .

ثم اشاعة فاقعة من فرعون وصف فيها موسى
بالكفر محاولا رد التهمة عن نفسه ، والصاق أوصافه
بغيره ، ولم ينس أن يبني تهمة على مستند قانوني وهو
قتل موسى للقبطي في أول شباب موسى :

« وفعلتَ فعلتكَ التي فعلتَ وأنتَ من الكافرين »
الشعراء ١٩ •

وبرغم هذه الأراجيف والباطيل والشائعات من
حول موسى فإن الحق ظهر واكتسح في يوم المباراة لما
صنع السحرة ، وألقيَ السحرة ساجدين ، فبهت
فرعون أمام هذا المشهد ، وأسعفته حيلته ودهاؤه بأن
يلجأ من جديد الى تلفيق الاشاعات ، فنسب الى موسى
أنه كان رتب الأمور مع السحرة ، وأن سجودهم
وايمانهم محض تمثيل ، واتفاق كيدي للآرب يحققونها
جميعاً ، وقد سجلت عدة سور هذه المقتريات من
فرعون ، منها :

« ان هذا لكرٌ مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها
اهلها فسوف تعلمون » الأعراف ١٢٣ • « قال آمنتم
له قبل أن آذنَ لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر »
طه ٧١ ، والشعراء ٤٩ •

وينتصر الحق ، ويخرج موسى ببني اسرائيل من مصر ، ونظن أن الجو قد صفا الآن من سموم الشائعات والاقاويل الباطلات ، ولكن هيهات هيهات • انهم بنو اسرائيل ، آذوا موسى بما لم يؤذه فرعون ولا قومه ، وينقل لنا القرآن حالته النفسية وتوجهه من قومه وتأذيه منهم في هذه الآية :

« واذ قال موسى لقومه يا قوم لِمَ تُؤذونني وقد تعلمونَ أَنِّي رسول الله اليكم • • » الصف ٥ ثم كانت نهاية المطاف في قصته عليه السلام أن طلب من ربه أن يفصل بينه وبينهم فقال : « رب لا أملكُ الا نفسي واخي فافرقُ بيننا وبين القوم الفاسقين » المائدة ٢٥ •



وهذه مريم البتول عليها وعلى ابنها السلام ، يراها قومها وقد أتت بولدها تحمله ، فما يصطبرون ، وهم اليهود ، فيسألونها ويستبينون الحقيقة ، بل يطلقونها اشاعة قاتلة : « يا مريم لقد جنتِ شيئاَ فرياً • يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانتُ أمك بغياً » مريم ٢٧ - ٢٨ ، وفرياً : عظيماً • وأما ثناؤهم على أمها فغير مقصود انما هو تعريض بها •

ولولا أن السماء دافعت عنها بمعجزة تلوي الاعناق
حين تكلم الطفل في المهد لكانت ورطتها مهلكة .

✱ ✱ ✱

وفي قصة يوسف عليه السلام ، وبرغم التكتيم
والتحفظ الاعلامي الشديد من قبل قصر العزيز ، فان
الاشاعة قد تفشت في نساء مصر ، وأبدأن فيها وأعدن ،
وزدن وبالفن ، وقلن : « امرأة العزيز تراود فتاها عن
نفسه ، قد شغفها حباً ، اتنا لنراها ، في ضلال مبين » .

ونلاحظ هنا أن هذه الاشاعة هي عين ما حدث
بالفعل ، فهي على هذا رواية واقعية لما حصل وليست
اشاعة ، ولكن بالتأمل في الفعل المضارع « تراود »
ودلالاته وإيحاءاته وعلى طريقة القرآن في الإيجاز وطبي
التفاصيل ، وجعل بعض الكلمات مستودعا للمعاني ينبغي
عن مكنونات الضمائر والنفوس ، أقول ، على هذه
الطريقة استعمل القرآن الفعل المضارع ، ليوحي بما
في نفوس النسوة من ظن أن امرأة العزيز تمارس هذه
المرادة عن حب مقيم ، وضلال مبين ، وأن ما حصل
ليس لحظة عابرة ، وإنما فعل مستمر - عبراً عن هذه

الظنون والخواطر ، الفعل المضارع «تراود» ، وأكد ذلك جملة مؤكدات تضمنتها الجملة التذييلية : « انا لنراها في ضلال مبين » من هذه المؤكدات : ان ، واللام ، واسمية الجملة ، والظرفية الموحية بالشمول : « في ضلال » ، ووصف الضلال بالمبين ، واستعمال لفظ الضلال بمعنى الغرام ، فهو حب" وصل حد الضلال ، كل ذلك في كلمات قليلات : انا لنراها في ضلال مبين .

ونشير هنا الى أن القرآن الكريم يتنزه عن رواية تفاصيل ما خاضت فيه النسوة ، ولكنه صور لقطة خاطفة مما يشاع ويذاع .

وكذلك ملاحظة أخرى في وصول السر الى النسوة ، مع أنه لم يشهده الا أشخاص لا يعقل منهم خروج السر ، ولكن الذي يبدو أن النسوة أشعن هذه القالة دون أن يعلمن بتلك الحادثة ، بل من خلال ملاحظاتهم لامرأة العزيز أثناء زيارتها في البيت ، فقد كن يرقبن بعيون النساء المترفات ذاك الفتى وشغف سيده به ، فلم يستبعدن أن يكون منها الذي أشعن . والله أعلم .

وقطعاً لدابر الاشاعات حول امرأة العزيز ، لم يجد اصحاب السلطان وسيلة خيراً من ايقاع الأذى بالبرء

المظلوم ، لأنه في نظرهم الطرف الأضعف ، فقرروا أن يبعدوه عن العيون ، علَّها تخمد الفتنة وتسكن ريحها ، وما دروا أنهم أثبتوها : « ثمَّ بدأ لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسُجننه حتى حين » .

ولعل الحين الذي أشارت له الآية هو حين انتهاء موجة الاشاعات التي عمت المقربين من أصحاب النفوذ ، والطبقة العليا في المجتمع .

ولله يوسف عليه السلام ، ما كان أشدَّ ذكاهه وأبعد نظره حين طلبه الملك اعجاباً به فلم يستجب ، بل طلب فتح ملف القضية ، وما ذلك الا لتتاح له فرصة العمل دون أن تعكر عليه الاشاعات صفوه أو تضعف سلطته ونفوذه ، وحتى تنقطع موجة الهمس والتشكيك والاشاعات قال للرسول :

« ارجعْ الى ربك فاسأله ما بال' النسوة اللاتي قطعن أيديهن ان ربي بكيدهن عليم » .

فلما أعيدَ التحقيق في القضية وأشرف عليها الملك بنفسه ، وقال النسوة ما قلن : « حاش لله ما علمنا عليه من سوء » وقالت امرأة العزيز : « الآن حصحصَ

الحق أنا راودته عن نفسه ٠٠ « وصدر الحكم ببراءته المطلقة من هذه الفعلة في محاكمة علنية مشهودة ، عندئذ خرج يوسف ، أو وافق على الخروج الى الأضواء والحياة العامة وتسلم الصلاحيات والسلطات التي خوله إياها الملك في كتاب الثقة : « أثتوني به أستخلصه لنفسي ، فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين » قال اجعلني عن خزائن الأرض ، اني حفيظ عليم . وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوا منها حيث يشاء ، نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين » .

وان التمكين الذي أشارت اليه الآية ليس مجرد تسلم سلطات وصلاحيات ، ولكنه فوق هذا ثقة الشعب الكاملة التي أحاطه بها وتفاعل معه بها ، وأطاعه من قلبه واندفع ينفذ أوامره بكل طاقته وروحه وفعالياته . وهكذا تكون القيادة ، وهكذا يكون التمكين .

إشاعات الجاهلية حول

خاتم النبيين ﷺ

أما نبينا صلى الله عليه وسلم فقد ووجه منذ بداية الدعوة وطوال العهد المكي بحملات الاشاعة والتشكيك ، واستمر أعداء الدعوة الاسلامية في استخدام هذا السلاح في الفترة المدنية وتفننوا فيه . وكان الشعر من أهم الوسائل المستعملة في ترويح هذه المفتريات .

وكان مما أطلقت الجاهلية حول المصطفى صلى الله عليه وسلم من أكاذيب : تهمة الجنون ، فقد كان أبو لهب ومن جندهم لهذه الغاية يجلسون على طرقات القبائل ويقولون بأنهم أعلم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأن ما يقوله من كلام انما هو ناشيء عن مس جنون - ففي سيرة ابن هشام :

« ثم ان قريشاً اشتد أمرهم ، للشقاء الذي أصابهم في عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن أسلم معه منهم ، فأغروا به سفهاءهم فكذبوه وأذوه ، ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون » (١) .

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ، ج ١ ص ٦٢ .

ولقد رد القرآن الكريم في أكثر من سورة هذه
الفرية السخيفة ، ففي سورة ن يقول سبحانه : « ن ،
والقلم وما يسطرون ، ما أنت بنعمة ربك بمجنون » .

وقال في خاتمة نفس السورة : « وان يكاد الذين
كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون
انه لمجنون » آية ٥١ .

قال في الظلال : « وان العجب ليأخذ كل دارس
لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في قومه من قولتهم
هذه عنه ، وهم الذين علموا منه رجاحة العقل حتى
حكّموه بينهم في رفع الحجر الأسود قبل النبوة بأعوام
كثيرة . ان الانسان ليأخذه العجب ان يبلغ الغيظ
بالناس الى الحد الذي يدفع مشركي قريش الى أن
يقولوا هذه القولة وغيرها عن هذا الانسان الرفيع
الكريم ، المشهور بينهم برجاحة العقل وبالخلق القويم ،
ولكن الحقد يُعمي ويصم ، والغرض يقذف بالفرية
دون تخرج ، وقائلها يعرف قبل كل أحد انه كذاب
أثيم . ثم ان الذكر لا يقوله مجنون ولا يحمله
مجنون » (٢) .

(٢) في ظلال القرآن ، ج ٨ ص ٢٢٠ . ص ٢٤٣ .

وفي سورة التكوين وَجَّهَ الْخُطَابَ إِلَى الْقَوْمِ فَقَالَ
سُبْحَانَهُ نَافِيًا عَنْ رَسُولِهِ الْجَنُونَ : « وَمَا صَاحِبُكُمْ
بِمَجْنُونٍ » ٢٢ .

وفي سورة الطور : « فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ
بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ » ٢٩ .

وتعيب سورة الأعراف على المشركين أنهم لا يتفكرون
في حال الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولو أَمَعْنُوا النَّظَرَ
قَلِيلًا لَعَلِمُوا سَخَفَ مَزَاجِهِمْ : « أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا . مَا
بصَاحِبِهِمْ مَنْ جَنَّةٌ ٠٠ » ١٨٤ .

وفي سورة المؤمنون تفسير لعلة اطلاق اشاعة الجنون
عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنهم يكرهون
الحق الذي جاء به وخالف هواهم .

« أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جَنَّةٌ ، بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَكَثُرَ هُمْ
لِلْحَقِّ كَارِهُونَ » ٧٠ .

وذكرت سورة سبأ استغراب المشركين لحال
الرسول ، ورددوا أمره بين صورتين : « افترى على الله
كذبًا ، أَمْ بِهِ جَنَّةٌ سبأ ٨ .

ونفت سورة سباً نفسها هذه التهمة فقالت :
 « ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم » ٥٠ ، ٤٦ .
 وتروى كتب السيرة أن قريشا في مفاوضاتها
 للرسول صلى الله عليه وسلم ومساومتها له عن دعوته ،
 عرضت عليه من ضمن ما عرضت أنه ان كان به مس^ة
 عاجوه والتمسوا له الدواء^(٣) .

* * *

ومن المفتريات التي اشاعتها الجاهلية العنيدة الغيبة
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم : الكذب ، وهم
 يعلمون في قرارة أنفسهم أن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أصدق الناس وأبرهم بدليل أن أبا سفيان عندما
 سأل هرقل - كما في الحديث الصحيح - عن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم : هل جربتم عليه الكذب ؟
 قال : لا - فقال هرقل : ما كان ليدع الكذب على
 الناس ثم يكذب' على الله^(٤) .

(٣) ارجع الى سير ابن كثير ، ج ١ ص ٤٧٩ .

(٤) حديث هرقل متفق عليه عند البخاري ومسلم / ارجع الى فتح الباري
 شرح صحيح البخاري ، ج ١ ص ٣٢ ، ط السلفية . وارجع الى
 الحديث في المغازي للزهري تحقيق الدكتور سهيل زكار ،
 ص ٥٩ - ص ٦١ .

هؤلاء أنفسهم هم الذين أشاعوا عنه الكذب أمام
جماهيرهم لأنها لا تملك العقلية نفسها التي لدى هرقل
حتى تمحص الحقائق والأخبار :

ومما يسجله القرآن في هذا الصدد : « أم يقولون
افتراه ٠٠ » وهي في عدة سور .

ففي سورة يونس : « أم يقولون افتراه ، قل
فاتوا بسورة مثله » ٣٨ .

وفي سورة هود في موضعين : « أم يقولون افتراه
قل فاتوا بعشر سورة مثله مفتريات » ١٣ .

« أم يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي
اجرامي » ٣٥ .

وفي سورة الانبياء : « بل قالوا أضغاث أحلام بل
افتراه بل هو شاعر » ٠٠ .

ولاحظ تكرار « بل » ثلاث مرات ، وهي تشي
بالبلبلّة الفكرية والتردد والاضطراب الذي كان عليه
المعسكر المعادي للرسول صلى الله عليه وسلم ، فهم
لا يدرون ما يقولون . وكما يقول في الظلال : « حاروا

كيف يصفون هذا القرآن ، وكيف يتقونه – فقالوا انه سحر • وقالوا انه احلام مختلطة يراها محمد ويرونها ، وقالوا انه شعر ، وقالوا انه افتراء وزعم انه وحي من عند الله • ولم يشبتوا على صفة له ، ولا على رأي يروونه فيه ، لانهم انما يتمحلون ويحاولون أن يعللوا اثره المزلزل في نفوسهم بشتى التعلات فلا يستطيعون ، فينتقلون من ادعاء الى ادعاء ، ومن تعليل الى تعليل ، حارّين غير مستقرين • ثم يخلصون من الحرج بأن يطلبوا بدل القرآن خارقة من الخوارق التي جاء بها الاولون « (١) » .

وذكر هذا الاتهام بصيغة قريبة من تهمة الافتراء في قوله تعالى « أم يقولون تَقَوَّلَهٗ » •

وقد نفى هذا الاتهام بطريقة برهانية في قوله تعالى : « وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ » •

فالله عز وجل ما كان ليدعَ انسانا ليفتري عليه ثم ينجو من عقابه وأخذه الشديد ، لا أن يظهر وينتصر ويحبه الناس ويفدوه بالأرواح •

(٥) في ظلال القرآن ، ج ٥ ص ٥١٨ •

تروي كتب السيرة عن الامام أحمد والبيهقي عن ربيعة بن عباد الديلي وكان جاهلياً فأسلم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول : قولوا لا اله الا الله تفلحوا ، والناس مجتمعون عليه ، ووراء رجل وضيء الوجه أحول ذو غديرتين يقول : انه صابيء ، كاذب ، يتبعه حيث ذهب . فسالت عنه فقالوا : عمه أبو لهب (٦) .

وفرية أخرى لصيقة بهذه الفرية هي اشاعة قريش عن الحداد الرومي انه هو الذي علم محمداً صلى الله عليه وسلم ما جاء به ، وليس الذي جاء به وحياً - في زعمهم - ، وفي هذا يقول تعالى : « وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ » ، لسان' الذي يلحدون اليه أعجمي' وهذا لسان' عربي' مبین » النحل ١٠٣ (٧) .

(٦) راجع سيرة ابن كثير طبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة سنة ١٩٦٤ ، ج ١ ص ٤٦٢ .

(٧) راجع في سبب نزول الآية كتب التفسير وأسباب النزول ، وراجع مثلاً الدر المنثور في التفسير بالماثور للسيوطي ، ج ٤ ص ١٣١ ، وقد ذكر عدة روايات منها ما رواه الحاكم والبيهقي وغيرهما ، ومن الأسماء التي زعموا نسبة تعليم النبي إليها : سلمان الفارسي .

وكان من اشاعات قريش ضد النبي صلى الله عليه وسلم ما رده أبو سفيان والملا من قريش ثم عامة مكة ، وهو زعمهم بأنه ساحر ، مدعين أنه يفرق بين المرء وأهله وعشيرته ، وكذلك السحر . وقد ذكرت عدة سور من القرآن هذه الفرية التي رددتها قريش وعجبت من حال أصحابها :

ففي سورة ص قال سبحانه : « وعجبوا أن جاءهم منذرٌ منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب » . وفي سورة الذاريات بيّن القرآن أن الاتهام بالسحر لانبيااء الله ديدن الكافرين ، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالانصراف عنهم وعدم الالتفات اليهم فقال : « كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحرٌ أو مجنونٌ » ، أتواصوا به ، بل هم قوم طاغون ، فتول عنهم فما أنتَ بملوم ، وذكرٌ فإنّ الذكرى تنفع المؤمنين .

وفي فاتحة سورة يونس : « إكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لساحر مبين » .

وفي أوائل سورة هود : « ولئن قلت انكم مبعوثون
من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر
مبين » ٧ .

وفي سورة الاسراء : « واذا ذكرت ربك في القرآن
وحده ولتوا على ادبارهم نفورا . نحن اعلم بما
يستمعون به اذ يستمعون اليك واذا هم نجوى ، اذ
يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا » ٤٦ - ٤٧ .

وفي سورة المدثر سجل القرآن هذه المقولة السخيفة
من قريش ثم أعقبها بتهديد شديد وجهه لمفتريها
ومطلقها فقال : « انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل
كيف قدر ، ثم نظر ثم عبس وبسر ، ثم أدبر واستكبر ،
فقال ان هذا الا سحر يؤثر ، ان هذا الا قول البشر ،
سأصليه سقر ، وما أدراك ما سقر ، لا تبقي ولا
تذر » ١٨ - ٢٨ .

وفي السيرة رواية هذا الحدث « أن الوليد بن
المغيرة اجتمع اليه نفر من قريش وكان ذا سن فيهم ،
وقد حضر الموسم ، فقال لهم : يا معشر قريش ، انه
قد حضر هذا الموسم ، وان وفود العرب ستقدم عليكم

فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فاجمعوا فيه
رأياً واحداً ، ولا تختلفوا فيه فيكذب بعضكم بعضاً
ويرد قولكم بعضه بعضاً .

فقالوا : فانت يا أبا عبد شمس فقل ، وأقم لنا
رأياً نقول به .

قال : بل انتم فقولوا أسمع - قالوا : نقول
كاهن .

قال : لا والله ما هو بكاهن ، ولقد رأينا الكهان ،
فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجمه .

قالوا : فنقول مجنون .

قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ،
فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته .

قالوا : فنقول شاعر .

قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجزه
وهزجه وقريضه ، ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو
بالشعر .

قالوا : فنقول ساحر .

قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحروهم ،
فما هو بنفثهم ولا عقدهم .

قالوا : فما تقول انت يا ابا عبد شمس ؟

قال : والله ان لقوله لحلاوة ، وان أصله لعذق ،
وان فرعه لجنانة ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً الا
عرف أنه باطل . وان أقرب القول فيه أن تقولوا :
ساحر ، جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأخيه ،
وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته ، ففترقوا عنه
بذلك ، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا
لا يمر بهم أحد الا حذروه اياه ، وذكروا لهم أمره (٨) . .

ولو جئنا نحلل هذا الاجتماع القرشي لوجدنا فيه
عدة أمور منها : أن الاشاعات حول الدعوة والداعية لم
تكن عملية عشوائية ، ولكن عمل منظم مخطط
مدرس .

والامر الثاني : أنه حتى تهمة السحر لم تحظ
بالقبول الكامل منهم بل وجدت طعناً قوياً ، ولكنهم
مع هذا ارتضوها ، لانها يمكن اقناع الجمهور بها
بشيء من المخادعة والتلبيس .

(٨) تهذيب سيرة ابن هشام لعبد السلام هرون ، ج ١ ص ٦١ ،
وسيرة ابن كثير ، ج ١ ص ٤٩٩ .

والأمر الثالث : أن القيادة الجاهلية لقريش كانت تعلم الحقيقة كاملة ، وتعلم يقيناً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس كما يشيعون عنه ويفترون ، ولكنه المبرأ من كل نقص وعيب ، وإنما هم قوم له خصمون .

وفي سورة سبأ آية أجملت كل ما كانوا يقولونه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ضمنه تهمة السحر : « وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا : ما هذا الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم ، وقالوا : ما هذا الا افك مفترى ، وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم : ان هذا الا سحر مبين » ٤٣ .

ولما فتر الوحي في مكة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما معدودة ، سارعت قريش بنشر اشاعة أن رب محمد قلى محمداً ، حتى شق عليه صلى الله عليه وسلم ، وكاد يظن أن الأمر كذلك ، ثم طمأنه الله في سورة الضحى أنه ما ودعه ربه وما قلى (٩) .

(٩) ارجع الى تفسير الطبري ، ج ٣ ص ٢٣١ ، ففيه عدة روايات حول هذا المعنى منها : أبلاً جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم حتى قال المشركون : ودع محمداً ربه ، فانزل الله : والضحى .

حملات الاشاعة في الفترة المدنية

ذاك كان بعض ما أشاعته قريش عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة ، فإذا انتقلنا الى دراسة الفترة المدنية نجد أن حملة الاشاعات استمرت ، بل ازدادت وتضاعفت ، ودقت في خفائها وتنظيمها ، وصار يديرها ويسهر عليها أساطين الشر ودهاقنة المكر في العالم ٠٠٠ اليهود^(١) وجندوا لترويجها السنة السوء من معسكر النفاق المنبثين في وسط الصف الاسلامي .

ولولا تماسك البنية الاجتماعية الاسلامية - بعد فضل الله - لكان لمكر هؤلاء شأن آخر ، ولكن التهذيب

(١) يمكن الرجوع الى كتاب اليهود في القرآن لعفيف طبارة ، ص ٣٠ - ص ٣١ فقد قال تحت عنوان : بث الشكوك في الاسلام : عمد اليهود الى اضماف الايمان في نفوس المؤمنين وزعزعة ثقتهم بالاسلام. ثم ذكر من أساليبهم في ذلك اشاعة الزعم بان ما في الاسلام انما هو تحريف لبعض ما جاء في التوراة وان في القرآن تناقضاً وغير ذلك ٠٠ ثم ذكر من أساليبهم ما أشارت اليه الآية : « آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون » فانه أجدر أن يصدقوكم ويعلموا أنكم قد رأيتم منه ما تكرهون ، وهو أجدر أن يرجعوا عن دينهم .

الاسلامي الرفيع للمجتمع وتأكيد الاسلام على وحدة كلمة المؤمنين ، وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فوَّت على أعداء الله أغراضهم .

ولقد كان أولئك الأعداء في موقف المتربص المنتظر ، يتصيدون المناسبات ، ويتحينون الأحياء الملائمة لبث حقدهم الاسود الدفين على الاسلام ورسول الاسلام عليه الصلاة والسلام . وكلما وقعوا على خبر سيء أذاعوه ونشروه وأشاعوه ، ولقد قال عنهم القرآن : « ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة » ، وإذا لم يقعوا على بغيتهم لفقوا خبراً ، أو قلبوا الحقيقة ، أو فسروها على هواهم ، وكما يحلو لهم وتملي شياطينهم .

وعند تزوج الرسول صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش ، وجد هؤلاء فرصتهم التي لا تضيع أن يزيفوا الحقيقة على الجماهير ، ويفصلوها عن قيادتها ويستعيدوا مكانتهم لديها . فصاروا يشيعون أن محمداً صلى الله عليه وسلم تزوج من امرأة ابنه ، أي أنه أتى منكراً هو ينهى عنه ، والأعراف تنهى عنه ولا تقره .

ولقد أحزنت رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه
القالبة الخبيثة ، ووجد منها حرجاً في صدره حتى نهاه
الله عن ذلك ، وأمره أن يمثل لأمر الله بتزوجها ، وأن
زواجه منها ليس بأمره هو ، ولكنه أمر الله الذي يتعين
ألا يخشى فيه أحداً ولا لوم اللائمين :

« واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه
أمسك عليك زوجك واتق الله ، وتخفي في نفسك ما الله
مبديه ، وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ، فلما
قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين
حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً ، وكان
أمر الله مفعولاً . ما كان على النبي من حرج فيما فرض
الله له ، سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله
قدرأ مقدوراً . الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه
ولا يخشون أحداً إلا الله ، وكفى بالله حسيباً » الأحزاب
٣٧ - ٣٩ .

ولم يكتفوا بهذا في قصة زينب بل أشاعوا أيضاً
أنها وقعت في نفسه صلى الله عليه وسلم ، وهي زوجة
زيد ، وكذبوا ، اذ هو الذي زوجها من زيد ، فلو كان
يريد الزواج منها فما يمنعه ؟ على أن نفسيات الكافرين

الهابطة لا ترقى الى تصور نفسية رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اهتماماته وقيسون الأمور على أنفسهم هم ، وأين الثريا من الثرى ؟!

ولا يغيب عن الذهن مطلقاً الاشاعة الضخمة حول حديث الافك ، الذي كان بدون مبالغة حدث الأحداث في الاسلام ، وأخطر تحد واجه المجتمع الاسلامي . وقد أسقط المجرمون من أعداء الله من نفسياتهم الهابطة في هذا الخبر الكاذب ، ومن تصورهم المريض على المؤمنين الأبرار الأطهار ما يستحيل أن يقع مطلقاً ، وغاب عنهم أن من عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم أن يُعصم في عرضه وشرفه وأهله لأن هذا من مكملات التبليغ والأهلية للرسالة ، اذ ان أي طعن أو قدح في هذا الجانب مخل بشخصية الداعية ، ومعرض له للجرح الاجتماعي والنبذ . وحاش لله أن يدور من حول البيت النبوي مثل هذه الريب ، ولكلها نفوس المنافقين المريضة ، المملوءة غيظاً وحنقاً على الدين ، وجدت في أسلوب الاشاعة الرخيص وسيلة لتوهين قوة الصف الاسلامي وزعزعتة .

الاشاعة في الميدان العسكري

من حياة الرسول ﷺ

أما الاشاعة في الميدان العسكري فتستحق أن نلقى عليها نظرة مستقلة ، فبعد بدر قويت شوكة المسلمين ، وعز شأنهم ، وهابتهم العرب ، وما كان اليهود ليذروا المؤمنين يحصدون ثمرة النصر كاملة ويستثمرون غلبتهم على قريش في تحصين مواقعهم النفسية ، والقاء الرعب في نفوس أعدائهم . ومن هنا سارع اليهود الى التهوين من شأن هذا الانتصار ، والتقليل من قيمته العسكرية .

يقول اللواء جمال الدين محفوظ : « كان للنصر الذي أحرزه المسلمون في بدر آثاره السيئة على نفوس اليهود والمشركين ، فما ان سمعوا أنباءه قبل ان يعود المسلمون الى المدينة ، حتى حاولوا اخفائه وعملوا على التشكيك في امكان وقوعه ، وحاولوا اقناع أنفسهم بعدم صحة ما سمعوا ، وزادوا على ذلك بأن أشاعوا أخبارا كاذبة ليوهنوا من عزيمة المسلمين ، وليقضوا على ما سمعوا ، فقالوا ان محمدا قد قتل وان أصحابه

قد هزموا وأخذوا يؤيدون قولهم بوجود ناقة الرسول صلى الله عليه وسلم مع زيد بن حارثة (وكان الرسول قد بعثه بأخبار النصر الى المدينة) . فلما تحقق خبر الانتصار سقط في يد الاعداء . وزادت حسرتهم لما أصبحوا عليه من الهوان والمذلة حتى قال بعضهم : « بطن الأرض خير من ظهرها » (١) .

وحتى بعد أن تحققوا من النصر لم تطلق نفوسهم أن يتركوا للمسلمين هذا النصر يمر دون أن ينفصوه عليهم ، فأشاعوا من جديد قالة أخرى تهون من شأن العسكرية الاسلامية فقالوا : « لا يفرنك يا محمد أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، انا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس » (٢) .



وأما في غزوة أحد فعندما رجع عبدالله بن ابي بن سلول بثلاث الحيش . غلف هذا الرجوع المتخاذل

(١) المدخل الى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الاسلامية ص ١٣٠ .

(٢) ارجع الى كتاب الرسول القائد صلى الله عليه وسلم لمحمود شيت خطاب ، ط ٢ ص ٩٣ .

المفضوح باشاعة أن محمداً صلى الله عليه وسلم يطيع رأي الأغرار ، ويدع رأي المحنكين المجربين من أمثاله ومن هو على شاكلته . ولعب ذلك التراجع مع ما رافقه من وسوسة دوره لولا عظمة القيادة وأخلاقية الصف المسلم العالية - بعد فضل الله عز وجل .

وفي أثناء المعركة اشاعت قریش خبر مقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كانوا قتلوا مصعب بن عمير رضي الله عنه ووطنوه الرسول صلى الله عليه وسلم . وتركت هذه الاشاعة آثارها في نفوس الصحابة رضي الله عنهم ، حتى لقد سجل القرآن في آياته الكريمة من سورة آل عمران تعليقاً على موقف الصحابة ، وتصحيحاً للتصور في قوله للمؤمنين موجهاً مريباً معلماً : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم .. » .

قال في الظلال معلقاً على هذه الآية بقوله انها « تشير الى واقعة معينة حدثت في غزوة أحد ، ذلك حين انكشف ظهر المسلمين بعد أن ترك الرماة أماكنهم من الجبل ، فراكبه المشركون ، وأوقعوا بالمسلمين ، وكسرت رباعية الرسول صلى الله عليه وسلم ، وشج

وجهه ، ونزفت جراحه ، وحين اختلطت الأمور ، وتفرق المسلمون ، لا يدري أحدهم مكان الآخر .. حينئذ نادى مناد : ان محمداً قد قتل .. وكان لهذه الصيحة وقعها الشديد على المسلمين . فانقلب الكثيرون منهم عائدين الى المدينة ، مصعدين في الجبل منهزمين ، تاركين المعركة يائسين ، لولا أن ثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك القلة من الرجال ، وجعل ينادي المسلمين وهم منقلبون ، حتى فاءوا اليه ، وثبت الله قلوبهم وأنزل عليهم النعاس أمنة منه وطمانينة .. (٣) .



وفي غزوة الأحزاب حيث اشتد الموقف على المسلمين لعدم تكافؤ القوات بين العسكرين ، في هذه الغزوة كانت الريح مواتية للمنافقين أن ينفثوا نارهم ، ويطلقوا أراجيفهم ، توهيناً من عزيمة المسلمين لعل ضعف روحهم المعنوية يتسبب في هزيمة يستفيد منها معسكرهم .. وتعود لهم الوجاهة كما كانت . وتأمل ! كم هو قتال حب الرياسة لدى هؤلاء .. الى حد أن

(٣) في ظلال القرآن ، ج ٢ ص ٩٢ ط ٥ سنة ٦٧ .

يضحوا بشعبهم وقومهم وحضارة الانسانية كلها
ومستقبلها في سبيل أن يتربعوا أياماً على مقاعد الوجاهة
والظهور والجاه الأجوف الفارغ .

ومن هنا بدأوا حملات اضعاف المعنويات التي
سجل منها القرآن :

« واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما
وعدنا الله ورسوله الا غروراً » واذ قالت طائفة منهم
يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا . » .

ويصمد الصف المسلم ذو البنية الاجتماعية المعافاة
من آفات التقطع والتخلخل ، وينتصر في أخطر تحد
عسكري واجهه ، وتعود خفافيش المنافقين الى جحورها
تنتظر الفرص .

على أن الاشاعة وظفت في هذه الغزوة توظيفاً
ايجابياً من جانب المسلمين ، تمثل ذلك في مقالة نعيم
ابن مسعود التي ترويها كتب السيرة على النحو التالي :
« أتى نعيم بن مسعود رسول الله صلى الله عليه
وسلم : فقال يا رسول الله ، اني قد أسلمت وان قومي

لم يعلموا باسلامي فمرني بما شئت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة . فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة وكان لهم نديماً في الجاهلية ، فقال : يا بني قريظة ، قد عرفت ودي اياكم ، وخاصة ما بيني وبينكم ، قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتهم . فقال لهم : ان قريشا وغطفان ليسوا كانتم ، البلد بلدكم ، فيه أموالكم وابناؤكم ونساؤكم ، لا تقدرّون على أن تحولوا منه الى غيره ، وان قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدكم وأموالهم ونساؤهم بغيره ، فليسوا كانتم ، فان رأوا نهضة أصابوها ، وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به ان خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرفهم ، يكونوا بأيديكم ، ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه ، فقالوا له : لقد أشرت بالرأي .

ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان ومن معه من رجال قريش : قد عرفت ودي لكم وفراقي

محمدًا ، وأنه قد بلغني أمر قد رأيت علي حقًا أن
أبلغكموه ، نصحاء لكم ، فاكتبوا عني ، فقالوا : نفعل .
قال : تعلموا ، أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا
فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا اليه : انا قد
ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من
القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشrafهم
فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقي
منهم حتى نستأصلهم ؟ فأرسل اليهم أن نعم ؛ فان
بعثت اليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا
تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا .

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال : يا معشر غطفان ،
انكم أصلي وعشيرتي ، وأحب الناس الي ، ولا أراكم
تتهمونني . قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم .
قال : فاكتبوا عني . قالوا : نفعل . ثم قال لهم مثل
ما قال لقريش ، وحذرهم ما حذرهم .

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس ،
وكان من صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن
أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤوس غطفان الى بني
قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان

فقالوا لهم : انا لسنا بدار مقام ، قد هلك الخف
والحافر ، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً ، ونفرغ
مما بيننا وبينه ، فارسلوا اليهم ان اليوم يوم السبت ،
وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً ، وقد كان أحدث فيه
بعضنا حدثاً فأصابه ما لم يخف عليكم ، ولسنا مع ذلك
بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم
يكونون بأيدينا ثقة لنا ، حتى نناجز محمداً ، فانا
نخشى ان ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال ان
تنشملوا الى بلادكم ، وتتركونا والرجل في بلدنا ،
ولا طاقة لنا بذلك منه . فلما رجعت اليهم الرسل بما
قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان : والله ان الذي
حدثكم نعيم بن مسعود لحق ، فارسلوا الى بني قريظة :
انا والله لا ندفع اليكم رجلاً واحداً من رجالنا ، فان
كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا . فقالت بنو
قريظة حين انتهت الرسل اليهم بهذا : ان الذي ذكر
لكم نعيم لحق ! ما يريد القوم الا ان يقاتلوا ، فان
رأوا فرصة انتهزوها ، وان كان غير ذلك انشملوا
(انسحبوا) الى بلادهم ، واخلوا بينكم وبين الرجل في
بلدكم ؛ فارسلوا الى قريش وغطفان : انا والله لا نقاتل

معكم محمداً حتى تعطونا رهناً • فأبوا عليهم وخذل
الله بينهم •

وبعث الله عليهم الريح في ليل شاتية باردة
شديدة البرد ، فجعلت تكفاً قدورهم ، وتطرح
أبنيتهم •• (٤) •

وقد سجلت آيات سورة الأحزاب طرفاً من صنيع
الله بأعدائه فقالت :

« يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ
جاءتكم جنود فارسنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها
وكان الله بما تعملون بصيراً • اذ جاءكم من فوقكم
ومن أسفل منكم ، واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب
الحناجر وتظنون بالله الظنون • هنالك ابتلي المؤمنون
وزُلْزِلُوا زُلْزَالاً شديداً •• » الأحزاب ٩ - ١١ •

« وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً
وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً وأنزل

(٤) تهذيب سيرة ابن هشام ، ج ١ ص ٢٠٢ - ص ٢٠٤/وفي مغازي
ابن شهاب الزمري ص ٨٠ رواية أخرى مختلفة تماماً عن دور
نعيم بن مسعود لا تجعل له مثل هذه الأهمية • فليراجعه من يشاء •

الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصبيهم ،
وقذف في قلوبهم الرعب ، فريقاً تقتلون وتأسرون
فريقاً • وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم ، وأرضاً
لم تطؤوها وكان الله على كل شيء قديراً ، • الأحزاب
٢٥ - ٢٧ •

شروط الاشاعة

لا بد للاشاعة من شرطين أساسيين حتى تروج وتسري ، والشرط الأول يتعلق بموضوع الاشاعة ، وكونه ينطوي على شيء من الأهمية بالنسبة للمتحدث وللمستمع .

أما الشرط الثاني ، فهو كون الوقائع الحقيقية على جانب من الغموض ، وهذا الغموض ينشأ إما عن انعدام الأخبار ، أو اقتضاها ، أو تضاربها ، أو عدم الثقة بها ، أو ينشأ عن بعض التوترات الانفعالية التي تجعل الفرد غير قادر أو غير متهيئ لتقبل الوقائع التي تقدمها الأخبار إليه .

و « ان الشرطين الأساسيين للاشاعة ، ونعني الغموض والأهمية يرتبطان ارتباطاً كيمياً بسريان الاشاعة . وقدرة الاشاعة السارية يتغير تبعاً لمدى أهمية الموضوع عند الاشخاص المعنيين ، وتبعاً لمقدار الغموض المتعلق بالمسألة المعنية . والعلاقة ما بين الأهمية والغموض ليست علاقة «اضافية» ، وإنما «تضاعفية» ، بمعنى أنه إذا كانت الأهمية صفراً ، أو إذا كان الغموض صفراً ، فلن تكون هناك اشاعة . وعلى سبيل

المثال فان مواطناً أمريكياً لا يحتمل أن يطلق اشاعات عن سعر الجمال في سوق أفغانستان ، وذلك لأن الأمر لا يهمه على الإطلاق ، وان كان السعر ولا شك يتسم بعدم التحدد والغموض . فالغموض وحده لا يطلق الاشاعة ولا يسندها .

وكذلك الحال بالنسبة للأهمية وحدها ، فعلى الرغم من أن حادثاً ذا أهمية يقع لي ، فاني لست مع ذلك معرضاً لاطلاق اشاعات تتعلق بمدى اصابتي لأنني أعلم الوقائع .

ولقد كان الضباط في المراكز العليا أقل انفتاحاً للاشاعات مما كان عليه المحاربون القدماء ، لا لأن الأحداث الواقعة كانت أقل أهمية بالنسبة اليهم ، ولكن لأنهم كانوا بصورة عامة على دراية أعظم بالخطط والاستراتيجيات . فحيث لا يوجد غموض لا يمكن أن تكون اشاعة .

وفي فترة الحرب ، تكون شروط قيام الاشاعة أحسن ما يمكن ، فالأحداث العسكرية بالغة الأهمية . ومع ذلك فالسرية الحربية بالاضافة الى البلبلة الطبيعية

التي يعانيتها الشعب فيما يتعلق بتقدم العدو وتحركاته التي لا يمكن التنبؤ بها ، نقول ان هذه السرية وهذه البلبلة تعملان على خلق غموض سحيق .

والقانون الذي اشير اليه يمكن التعويل عليه الى حد بعيد ، وهناك مع ذلك ظروف بعينها تقل فيها فاعلية هذا القانون ، فاذا كان الناس يعانون رقابة شديدة ، وكانت هنالك عقوبات صارمة على ترديد الاشاعات ، فمن المحتمل ان يضبط الناس أنفسهم ان قليلا أو كثيراً .

وكذلك حيث يكون المجتمع غير متجانس بدرجة مسرفة ، وحيث تقل الاتصالات بين جماعاته فانه يكون من المحتمل أن تتجنب الاشاعة اجتياز الحواجز الاجتماعية ، ومن ثم يضيق سريانها .

ويمكن أن تتعطل فاعلية القانون لسبب آخر هو توعية الاشخاص بطبيعة الاشاعة وسلوك المشيع ، والتفسير النفسي للاشاعة ، وعليه فان الشخص متفهم الاشاعة يصعب تصديقه للاشاعة ونشره لها ، وهو أقل استعداداً من العادي الذي لا علم له بالاشاعة (١) .

(١) سيكولوجية الاشاعة بتصرف يسير واختصار .

كيف تنشأ الاشاعة

ليست كل الاشاعات من صنع الخيال ، بل قد تحتوي أحياناً على خميرة من الحقيقة أو نواة من الواقع يصاغ حولها نسيج الاشاعة ، ولكنها كثيراً ما كانت وتكون مختلفة ، فان كانت كذلك فان منشأها أن صانعها يستغل أهمية الحدث أو الشخص محور الاشاعة ويستغل جهل الناس ، أو عدم امتلاك المعلومات الكافية ليفتري من بنات أفكاره اشاعة يضرب بها خصمه ، وأحياناً يلجأ الى تفسير مشوه أو مفرض وقع لهذا الشخص محور الاشاعة ، أو قلب للوقائع ، أو طمس لبعض الحقائق .

وأحياناً تبدأ الاشاعة خبراً صحيحاً تماماً ، فإذا تناقله الناس زادوا عليه من خيالهم حتى يغدو مشوقاً مثيراً ، فما ان يمشي خطوات حتى يغدو ككرة الثلج لا تزال تتزايد كلما دحرجتها .

أسباب ظهور الاشاعة

« حياة البشر في عالمنا هذا لا تكاد تخلو من الحاجات والمشكلات التي تثير اهتماماتهم ، والتي يستغلق عليهم مع ذلك سبيل المعرفة الحقّة اليها ، فقد كان لا بد من أن تكون الاشاعة بعداً من أبعاد الحياة البشرية . »

وان أرض الجماهير لا تكاد تتلبّد فوقها سحب «الغموض» ، وتنتشر فيها بذور «الاهتمامات» ، حتى تستحيل تربة خصبة تزدهر فيها نباتات الشائعات .

ولن تلبث هذه الشائعات حتى تصّاعد في سرعة الى عنان السماء ، فتحجب عن الرائي أو تكاد ، آفاق الرؤية الواضحة ، وتسد أمام ناظره السبيل ، فلا يرى جبال الحقائق الموضوعية الراسخة ، هذه التي انما تتحدد قممها في سماء صافية من المنطق ، (١) .

فيمكن ببساطة عزو ظهور الشائعات الى انعدام المعلومات ، ومن هنا ينادي من يودون القضاء على

(١) صلاح مغيسر وزميله ، من مقدمة الترجمة لكتاب سيكولوجية الاشاعة ص ٧ .

الإشاعة بضرورة اظهار الحقيقة كل الحقيقة بتفاصيلها ،
وعدم اخفاء شيء عن الجماهير حتى لا يكون هناك
سبب وحافز لظهور الإشاعة .

ولكن هذا القول تبسيط مفرط للحقيقة ، فهناك
من الأسباب الأخرى ما يتضافر مع هذا السبب ، مثل
الدوافع النفسية في الإنسان ، وانعدام المستوى
التهديبي الرفيع من الأمة ، وتقطع الأسباب بين
الناس ، وانعدام الثقة بين فئات الشعب ، أو بين
القاعدة والقمة ، أو التعرض لهزات وأزمات وضغط
خارجي مع الافتقار الى الأيدي الخيرة الحكيمة التي
تخرج الأمة من ورطتها ، وتقوم بالإجابة عن كل طارئ
وحل كل مشكل قبل استفحاله .

في حالة انعدام كل هذه المؤهلات والمقومات على
مستوى الفرد والأمة تبرز التناقضات على السطح ،
وتطفح النقائص على وجه المجتمع بثوراً شوهاء تؤذي
الناظرين .

دوافع الاشاعة

ينشأ الطفل في بيئة تعودت أن تردد أخباراً تقدم لها بهذه اللازمة : سمعت أن .. ، يروون في الحي أن .. ، أظن أن .. الخ .

هذه اللازمة هي التي تشكل الأرضية الأولى للاشاعة ، وتربي الطفل التربية التي تؤهله في المستقبل أن يكون ناقلاً لجرثومة الاشاعة .

من هنا في الحقيقة ولدت الاشاعة ، وتنهى مناخها ووجدت تربتها الصالحة لنموها والمنطلق الثاني ، والدافع الثاني للشائعة من داخل النفس الانسانية وهو الحرص على تفسير ما يقع من أحداث تفسيراً مقبولا مقنعا حتى ولو لم يكن يملك الشخص عناصر هذا التفسير ، والمعلومات الكافية التي تكون اطاراً كاملاً وصورة واضحة للأحداث فان لم يجد الرواية الكاملة عن الحدث لجأ الى خياله يستكمل الصورة وملامح الوقائع ليقدم لنفسه ثم للناس رواية كاملة .

والأمر الثالث ان الذاكرة الانسانية لا تحتفظ بصور الأشياء كاملة وتفاصيل الأمور والأحداث الى

آماد طويلة ، بل تتعرض تلك المخزونات للاختزال والانتقاص من أطرافها ، وتجري عليها عملية تسوية وطمس أو تشويه وإبراز على نقاط معينة أخرى ، وهذا النقص من جهة والتركيز أو الإبراز في جهة ثانية منطلق آخر من منطلقات الإشاعة حين يروى الخبر بعد أن جرت له كل تلك العمليات الداخلية من اقتطاع أو تركيز .

ودافع رابع عجلة الإنسان وتلهفه على الأمور ، وعدم توافر الوقت الكافي لديه لتقصي الحقائق ، ولما كان الفضول أقوى من الامكانيات وأسرع من الزمن المتاح كان الدفع والالجاء الى أرض الإشاعة بهذا العنصر . فكثير من الأشخاص أو الشعوب معزولون عن الآخرين ، ولا يملك كل فريق معلومات عن الآخرين فيلجأ الى الشائعة بالدافع هذا .

أضف الى هذه الدوافع دافع الحقد على المنافسين أو الخصوم أو أي أشكال الكره والأنانية مما يحفز الى تحطيمهم ولو باختلاق الشائعات ضدهم أو تفسير سلوكهم تفسيراً يخدم أغراض الطرف المطلق للإشاعة . ومن زاوية ثانية يحاول الإنسان بالإشاعة اقناع الناس

بعدالة موقفه من خصومه وأنه في عدائه لهم منطقي ،
فهم الذين يصنعون كذا ، ويقولون كيت ، ويرتبطون
بالجهة الفلانية .

وبالاشاعة ينتصر الانسان على أناس لا يستطيع
لو واجههم أن يصمد أمامهم أو يحقق شيئاً .

ودافع آخر منطلقه الغموض الذي يكتنف الخبر
موضوع الاشاعة أو الشخصية ، هذا الغموض الذي
يتسبب في التوتر العاطفي الذي ينتهي اما الى نوع من
الهزيمة النفسية والكبت لعدم المقدرة على حله وتسهيله
أو ينتهي الى اشاعة يطلقها الانسان فينفس بها عن
تلك التوترات .

وكذلك يشكل الاسقاط دافعاً آخر من دوافع
الاشاعة وهو ما يطلق عليه كتّاب علم النفس : « البحث
عن كبش فداء » ، فهناك من الممنوعات ما لا يجزئ
البعض على مواقعه أو ارتكابه لا عن مبدأ ولا نظافة
ذاتية ولكن عن مجاراة أو خوف ولكنه يتمنى ذلك
السلوك فيلجأ الى أن يراه في غيره ولو في صورة مختلفة
ينشئها ثم يصدقها فيستريح اليها .

كذلك ، فان اللقاء التهم الشديدة على الغير يهون
في عيوننا وعيون المجتمع ما نحن عليه من تقصير وعوج .
وأحيانا تكون الشائعة نوعاً من استرضاء النفس ،
وعدم القدرة على مواجهتها بالفشل ، فشخص لم
يستطع أن يقتحم ميادين التجارة ويحقق نجاحاً
مرموقاً ، يعمد الى خلق مفتريات حول من هم في هذا
الميدان كان يقول : ان أعمالهم كلها تقوم على الغش
والمداهنات والرشاوى والايمان الكاذبة وانه خير لي ما
أنا فيه من حال من أن أعتني على حساب شخصيتي
وكرامتي ومبادئتي . وكما قيل : « قال حصرماً لما رأى
ألا يناله » ، ومن هذا الصنف الطلبة الفاشلون في
امتحاناتهم يلجأ الكثير منهم الى رشق المدرسين والطلبة
الآخرين بالتآمر والخيانة والمحاباة وأنهم أزيحوا من
الطريق ليخلو الجو لطالب عميل للاستاذ أو قريب . .
الخ ، وكثيراً ما يقول هؤلاء الطلبة بأنهم لو كانوا
يدرسون لكانوا من الأوائل ، وكلها محاولات للرضا
عن الذات ، وأن تبقى العلاقة بين الانسان ونفسه
علاقة احترام .

وعلى أي حال فإن الدوافع وراء الاشاعات عديدة
يصعب حصرها ، لأن مجراها في النفس الانسانية
متشابك معقد ، فأحيانا حب الظهور يشكل الدافع ،
وأحيانا الحقد ، أو الكبت ، أو حب الاستطلاع ، أو
الاسقاط ، أو الدفاع عن النفس أو عمَّن يحب ،
وأحيانا الاعجاب .

وباختصار يمكن أن نقول ان طبيعة التشابك في
دوافع الشائعة يمكن أن تكون مستمدة من طبيعة
التشابك في النفس الانسانية ودوافعها السلوكية .

التفسير النفسي للإشاعة

تحدث المبحث السابق عن الدوافع التي تكمن وراء الإشاعة ، وهذا المبحث متم له ، يحاول أن يصل الى أصل كل دافع والى أعماق ما يدور في النفس الانسانية ويمور عندما تطلق الإشاعة ، وتحديد الحالة بمصطلح من مصطلحات علم النفس .

و « ان أية حاجة بشرية يمكن أن تكون القوة الدافعة للإشاعة . فالقلق هو القوة الدافعة الى أقاصيص الكوارث . والآمال والرغبات تكمن وراء الإشاعات الحاملة . والحق يسند أقاصيص الاتهام والافتراء . والاهتمام بما هو جنسي يفسر الكثير من التقولات ومعظم الفضائح .

والإشاعات تهديء التوترات الانفعالية القائمة باتاحتها افراغاً لفظياً يحقق التفريج . ان الإشاعات غالباً ما تبرر ، وتذود عن وجود هذه الانفعالات التي لو واجهها أصحابها بصورة مباشرة فمن المحتمل ألا يقتدروا على تقبلها . والإشاعات في بعض الأحيان تتيح تفسيراً جد فسيح لكثير من الملامح المستغلقة للبيئة ،

ومن ثم تلعب دوراً بارزاً في اشباع الحاجة العقلية الى جعل العالم المحيط بنا يبدو معقولا (١) .

وجدير بالاهتمام أن نلاحظ الغموض الذي تعمل الاشاعة في خدمته . فهي اذ تتيح للشخص أن يصنع ما يكرهه ، فانها «تفرج» عن «دافع انفعالي» أساسي . ولكنها في الوقت نفسه وبنفس الرمية تبرر ما يشعر به الشخص بازاء الموقف ، وتفسر له أمام نفسه وأمام الغير علة ما يدفعه الى هذا الشعور . وهكذا فالاشاعة تسبغ المعقولية وهي تضطلع بالتفريج .

فهناك ضغط فكري الى جانب الضغط الانفعالي ، فالعشور على سبب معقول لموقف غامض هو في حد ذاته دافع - وهذا السعي الى «اغلاق جيد» يفسر حيوية الكثير من الاشاعات ، اننا نريد أن نعرف « لم » و «كيف» و «الى أين» بالنسبة للعالم المحيط بنا .

(١) لعل من هذا الوادي والقبيل تفسيرات العامة لكثير من الظواهر الطبيعية والكونية من زلازل أو رعد أو كسوف ، وقولهم ان الأرض مستندة على كيت أو كيت كل ذلك يحاولون به جعل العالم المحيط بهم معقولا .

ان عقولنا تحتج على «العلماء» — ومنذ الطفولة ونحن
نتساءل : «لم» ؟ وهذا «السعي وراء معنى» هو عملية
أوسع من ميلنا الى تعقيل وتبرير حالتنا الانفعالية
الراهنه • من هنا تنشأ « الاشاعات الفضولية » •

وناشر الاشاعة قد لا يفهم كل هذه الدينامية ذات
الجوانب المتعددة — انه لا يعرف السبب في أن اشاعة
بعينها تبدو له شديدة الجاذبية ، وجديرة بالترديد
والنشر في سرعة وعلى نطاق واسع • انه لا يتنبه الى
أي مدى يعكس نفسه في الأقاصيص التي ينشرها —
وهو ما يسمى في مصطلح علم النفس بالاسقاط •

ان الاشاعة أشبه ما تكون بحلم يقظة لاكتنه'
الأفواه • فإذا كانت الأقصوصة التي نسمعها تتيح
لنا تأويلا للواقع بما يتفق مع حياتنا الحميمة فاننا
نميل الى تصديقها والى نقلها •

ان الانسان عن طريق اطلاق الاشاعة أو تداولها
يحاول الافلات من مشاعر الائم • ويتجنب وخزات
الضمير المؤلمة • فما نسميه خطيئة عند الآخرين هو
مجرد ما نسميه «تجربة» عندنا ، فالآخرون هم الذين

يرتكبون الخطايا لا نحن - وحتى لو ارتكبتها فما
أهونها اذا قورنت بنذالة الآخرين .

هكذا يسرر الانسان لنفسه سلوكه بطريقة لا
شعورية عن طريق اطلاق الاشاعة أو تصديقها .

على أنه ليس دقيقاً تماماً أن نفترض أن كل فرد
ناشر للاشاعة انما يدفعه الدافع الاسقاطي ، اذ يمكن
أن يكون الدافع مجرد الرغبة في اجتذاب الانتباه :
اني أعرف شيئاً أنت لا تعرفه .

فالشخص وهو آخذ في سرد قصته يكون طول ذلك
الوقت مهيماً على مستمعيه . ومثل هذه المتعة يمكن
أن تكون شديدة الفواية بالنسبة الى الاشخاص الذين
حياتهم خلوة من الأحداث . هذا الى أن مردد الاشاعة
يمكن أن يتيح لنفسه مشاعر المصدق على صديق شغوف
بتذوق الفضائح ، أو بالأحاديث المقابرية المفعمة
بالمصائب - وهو وان لم يحفل هو نفسه بالاشاعة
فانه يلقي بها في تلذذ الى صديقه .

بالاضافة الى أن كثيراً من الاشخاص حتى من الذين
لا يتجاوبون مع الاشاعة انما يستعملونها « وصلات »

ملء الفراغ بين الأحاديث والمجالس كلما انقطع جبل الحديث ، ومثل هذه « الدردشات » الاجتماعية غير الهادفة تعين على دفع الاشاعة (٢) .

وهناك عامل آخر قوي من عوامل اطلاق الاشاعة هو « التوقع » . والاشاعات تبلغ أقصى احتدامها عندما يكون الجمهور متوقعاً حدوث حادث خطير . فبعدما يطول الانتظار يكون الانسان في حالة تحفز للاكمال .

(٢) ومجالس الفارغين ما أملاها بمثل هذه الأحاديث حتى ان الاشاعة تتحول من مجرد وصلة الى المادة الاساسية خاصة في مجالس النساء أو مواقفهن على السلالم أو أبواب البيوت في وداع بعضهن أو تحية بعضهن .

وقد اعتبر القرآن الكريم من مؤهلات الفلاح البعد عن مضغ هذه الأحاديث ، وذلك في أكثر من توجيه من توجيهاته ، من ذلك : « قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون » . وهي مجالس لغو ان لم تنس أحداً ، فان تحولت الى غير ذلك كان النهي من القرآن شديداً والمقاب من الله تعالى رادعاً زاجراً : « بشئ الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم ينس فأولئك هم الظالمون » . « ايحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله .. » و « ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » ...

ان الناس يخضعون حينئذٍ لما يسمى جذب الهدف .
فاذا أعلن عن تغيير وزاري مثلاً ، وانتظره الناس بعض
الوقت ليسمعوا تفاصيل الأسماء والتشكيل والبرنامج
الوزاري ، فكلما مر وقت تضاعف التطلع الى معرفة
الآتي أو توقعه ، والانسان لا يطيق الانتظار ولا الوقوع
تحت تأثيره ، فتخفيفاً عن نفسه مما يعاني واستباقاً مع
الناس ومع الأحداث فانه يعلن من تلقاء نفسه التشكيل
الجديد والتغيرات المتوقعة في خطة السير (٣) .

(٣) بتصرف واختصار من سيكولوجية الاشاعة لاولبورت ص ٥٥ -
ص ٧٠ .

الاشاعة والتذكر

ليست كل حالات الاشاعة يكمن وراءها قصد التزوير والاختلاق ، كما أسلفنا ، ولكن العقل الانساني وحافظته كثيراً ما يتعرض للنسيان ونقص المعلومات ، وكثيراً ما يميل الانسان الى « التسوية » في رواية الاخبار ، بمعنى أنه ينتقص الأجزاء التي داخلها الوهن وليس على ثقة منها ، لأن ذاكرته لم تعد تحتفظ بالمعلومات بشكلها الاول ، وهذا النقص ، وأحياناً الخلط مادة للاشاعة ومقدمة لها ، بل هو هي .

ولو تتبعنا خط سير الاشاعة لوجدنا أنها كلما مضت متوغلة في رحلتها مالت الى أن تصبح أكثر قصراً ، وأكثر احكاماً ، وأكثر سهولة في فهمها وروايتها ، وتقل ألفاظها وتفاصيلها .

وقد أجرى مؤلفا كتاب سيكولوجية الاشاعة جملة تجارب خلاصتها أن ٧٠٪ من التفاصيل تسقط خلال خمسة أو ستة انتقالات من فم الى فم ، حتى وان لم تكن هناك فترة زمنية فاصلة - ومعدل السقوط يتبع

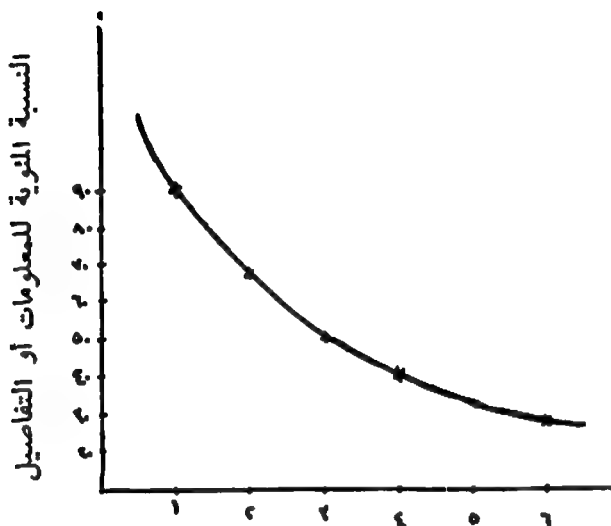
اتجاهها هبوطيا مطرداً ، وان كان أكبر معدل لسقوط
التفاصيل يتم في الاستعدادات الأولى .

واذ لم ير الراوي الحدث أو المثير الأصلي فإنه يفقد
أي أثر ضابط منه يؤخر سرعة سقوط التفاصيل أثناء
الرواية .

وكذلك فإنه ليس لديه المتسع الكافي من الوقت
«للتسميع العقلي» . كما أنه من ناحية ثالثة لما كان
يروي الخبر لجمهور فإنه يجد نفسه تحت المحاكمة في
قضية الدقة فيحاول أن يتجنب الأخطاء باستبعاد
العناصر التي لا يثق منها تمام الثقة .

وهكذا تنكمش الاشاعة الى أن تصبح على حالة من
الاقتضاب تشبه الشعارات - وهذا الرسم البياني يعبر
عن معدل التسوية ونقص التفاصيل في كل استعادة
من الاستعدادات المتعاقبة (١) .

(١) سيكولوجية الاشاعة ص ٩٧ .



عدد مرات التذكر أو الاستعادة

وكما أن بعض عناصر الخبر المروي تعرضت للتسوية أي للابعاد أو الطمس فان عناصر أخرى يحافظ عليها وتعرض لعملية مقابلة هي الابرار وتستمر روايتها الى النهاية •

ولو أجرينا تجربة استعادة أو تذكر على فئات مختلفة لوجدنا لكل فئة عناصر تسوية وإبراز ، فالعسكري له عناصره التي يهتم بها ويبرزها في العروض عليه ، وكذلك الطالب له عناصره التي يحافظ عليها ، وهكذا التاجر مثلاً ، والمرأة .. الخ .

والإبراز هو ادراك انتقائي وحفظ انتقائي وإدلاء انتقائي لعدد محدود من التفاصيل من بين سياق أكبر . وهو غالباً ما يمسك بالألفاظ الغريبة النادرة التي تجذب الانتباه ، وغالباً ما يكون ذلك على حساب تفصيلات أخرى أكثر أهمية بالنسبة الى القصة .

والأسماء والأرقام تحظى بالإبراز ، وغالباً ما تميل الأرقام الى التكرير وهناك نوع من الإبراز هو إبراز الحركة ، فالناس تميل الى وصف الأشياء بالحركة وان كانت ساكنة وقت الحدث .

وهناك إبراز الحجم ، فالشيء الأكبر حجماً من بين عناصر متعددة يحظى بالإبراز .

ونوع آخر من الإبراز هو الأقلمة الزمنية أو ما يسمى الاحداث الجارية بمعنى أن النفس تميل الى ربط

الاشياء بالحاضر وبمنطقة السخونة ، فلو عرض علينا
حادث عنف في صورة خلواً من الزمان والمكان ، للمنا الى
اعتباره حاضراً في مكان يشهد عنفاً .

ويحدث ابراز عادة للرموز المألوفة وللافتات .

و «الاعلاق» صورة من صور الابراز . وهو يشير
الى ما عند الشخص من دافع الى أن يجعل تجاربه من
التماسك والاكتمال والدلالة الى أقصى حد ممكن (٢) .

(٢) يرجع الى المرجع السابق .

أنواع الاشاعة

يصعب تقديم حصر منضبط عن الاشاعة وأنواعها وأصنافها ، لاختلاف آثارها ودوافعها والبيئات التي تظهر فيها - ولذلك فإن أقصى ما يستطيعه الباحث هو أن يقدم تقسيمات كلية لأنواع الاشاعة حسب زاوية النظر التي يقف عندها الباحثون .

فيمكن تصنيف الشائعات حسب موضوعها ، أو حسب الآثار المترتبة عليها ، أو حسب البواعث والدوافع والنوايا التي تكمن وراءها ، أو حسب سرعتها وزمان انتشارها الى آخر ما هنالك من جوانب يمكن اعتبار كل منها مبرر تقسيم أو فصل تحت باب مستقل أو نوع منفرد .

أما عن أنواع الاشاعة حسب موضوعها فيمكن تصنيفها وتنويعها الى هذه الأنماط وهي على سبيل التمثيل لا الاستقصاء : السياسة ، الجنس ، الاقتصاد ، القضايا العسكرية ...

وفائدة الدراسة حسب هذا التصنيف تركيز وحصر الموضوعات التي يتداولها الناس ومعرفة مراكز اهتمامهم ووضع العلاج .

وأما من حيث سرعتها فيمكن تقسيمها الى هذه الأصناف :

١ - الاشاعة البطيئة أو الزاحفة وهي التي تروج ببطء ويتناقلها الناس همساً وبطريقة سرية الى أن يعرفها الجميع آخر الأمر (١) .

والبطء أما أن يكون مبعثه صعوبة التوصيل ، أو الترابط الاجتماعي ، أو التخطيط من مطلق الاشاعة ومصدرها ، أو لصعوبة تصديقها واستغراب الناس لها .

٢ - الاشاعة السريعة أو العنيفة . هي التي تنتشر بين جماعات كبيرة في زمن بالغ القصر ، ومن أنماطها ما يروج اثر الكوارث العامة أو الأحداث الضخمة ، وسرعة انتشارها تعزى الى أنها تملك من الدوافع الشعورية ومن الأهمية ما يدفع الناس الى تناقلها والخوض فيها .

(١) الحرب النفسية لصالح نصر ، ج ١ ص ٣٢١ .

٣ - الاشاعات الغائصة ، وتسميها بعض المراجع الغاطسة ، وهي التي تظهر في وقت وظروف ثم تختفى لتعاود الظهور من جديد في مثل الأحوال التي أظهرتها أول مرة ، ومن هذا النمط : الاشاعات المرافقة للحرب ، أو الانتخابات ، أو تشكيل الوزارات ؛ واشاعات الحربين العالميتين الأولى والثانية لانكاد نجد بينهما فارقاً يذكر كما يقول أولبورت (٢) .

ومن أمثلة هذه الاشاعات : تسميم مياه الآبار مثلاً ، والاشاعات المتعلقة بفظائع العدو من قطع أيدي الأطفال والسنة الأسرى . الخ .

وهذه الاشاعات الغاطسة يمكن تفسيرها بطريقتين : فمن المحتمل أنها ترقد في حالة سبات في عقول بعض الأفراد حتى يستخرجوها بعد سنوات ، وربما يتم ذلك دون تنبه منهم عندما يجدون أنفسهم في موقف بيئي مشابه لهذا الذي سمعوا فيه الاشاعة أول مرة . ومن الممكن أن تتمخض الحاجات البشرية في الظروف المتشابهة عن تولد أقاصيص متماثلة .

(٢) أولبورت ٢ سيكولوجية الاشاعة ، ص ١٨٩ .

• وتقسيم ثالث يعتمد على عامل البواعث والدوافع .

ويمكن أن نذكر بعض أنواعه للتمثيل : الاشاعات التي وراءها دافع العداوة ، أو الرغبة ، أو الخوف ، أو الفضول (الاشاعات الفضولية) ، التبرير ، التفسير ، تخفيف حدة التوتر النفسي والدوافع قد تتشابك ، فيجتمع وراء الاشاعة الواحدة أكثر من دافع نفسي من الدوافع المذكورة .

وهناك تقسيم آخر حسب امكانات انتشار وحياة وتداول الشائعة أو عدم ذلك وهي على هذا : اشاعات خاملة واشاعات نشطة .

وهناك الاشاعة المروعة أو اشاعة الخوف والاشاعة المتفائلة أو اشاعة الأمن كما عبر عنها القرآن : « وإذا جاءهم أمرٌ من الأمنِ أو الخوفِ أذاعوا به » .

وقد تمس الاشاعات أحداثاً كالكوارث والحروب والأسعار ، وقد تمس أشخاصاً كالمسؤولين ، وهناك اشاعات الحرب واشاعات السلام .

واشاعات الحرب يمكن تقسيمها الى ثلاث فئات :
الاشاعات الراضية ، واشاعات الخوف ، والاشاعات
المعبرة عن الكراهية والعدائية « دافة الاسافين » .

وبالاضافة الى كل هذه الأنواع من الاشاعات فهناك
فئات من الاشاعة يصعب درجها في سلك تصنيف معين ،
كالتى تتضمن أخباراً عادية لا أهمية لها ، ويمكن
تسميتها باشاعات الفضول .

تحليل الاشاعة

قلنا ان الاشاعة عميقة الغور في داخل النفس الانسانية ، فهناك تكمن دوافعها ومنطلقاتها ، ونحن في هذا المبحث نحاول أن نفهم النفس الانسانية والمجتمع الذي تنطلق فيه ومنه الاشاعات وتنتشر .

« وليس مما يهم أن تكون الاشاعة «وردية» متفائلة، أو «سوداء» متشائمة ، بل وليس يهم أن تكون مسائرة لهوى النفس وآمالها ، أو مثيرة لقلقها ومخاوفها ، فهي في كل هذه الحالات تضطلع بوظائف نفسية جد مهمة . فهي اذ تتيح «معرفة بديلة» تسد الثغرة وتعوض النقص في موضوع من الموضوعات المهمة انما تفتح الباب على مصراعيه أمام خفايا النفس وأعماقها العميقة .

عندها تنظر الجماهير فترى المشكلات من خلال نفسها وعبر مخاوفها وأمانيتها فتسبغ على الأحداث من ذاتها دلالات غريبة عنها . ومن هنا تعد الاشاعة وليدة مجتمعيها ، وتعبيراً عميقاً عن نفسيته ، بل ومفتاحاً ذهبياً يتأدى بالدارس الفطن الى مجاهر نفسيه هذا المجتمع وأغواره السحيقة .

فالشائعة سلوك من المسالك العديدة للجماعة ،
شأنه في ذلك شأن كل سلوك ، لا بد وأن يصدر عن
توتر دافع ، يستهدف هدفاً بعينه ، ويسلك سبلا
تحمل الطابع المميز للجماعة في لحظة من لحظات حياتها •
وإذا كان ذلك كذلك ، فإن فهم نفسية جماعة من
الجماعات يمكن الراغبين ولا شك من أن يتبينوا مدى
ما عليه التربة من صلاحية بالنسبة الى هذا النوع أو
ذاك من بذور «الاهتمامات» ، ومن ثم يتيح لهم أن يغطوا
أرض الجماهير بورود الاشاعات أو بأشواكها
وحسبها (١) •

ان الاشاعة قد غدت علماً له قواعده ، وسهل بهذا
دراستها وتحليلها ، وفهم الدوافع الكامنة وراءها ،
وبالتالي مقاومتها وتفنيدها ، أو اطلاقها وترويجها •

ومما يعين على تحليل الاشاعة معرفة دوافعها
ودوافع الانسان يصعب معرفتها معرفة كاملة ، ولذلك
لا يمكن تحليل الشائعة تحليلًا كاملاً لأن الأحوال

(١) صلاح مخيمر وعبد رزق مترجما كتاب سيكولوجية الاشاعة ،
من مقدمتهما ، ص ٧ - ص ٨ •

النفسية والاجتماعية الدقيقة التي تقال فيها الشائعة
معروفة معرفة جزئية .

ومن الأمور الملاحظة والمعينة في فهم الشائعة أنها
في مسيرتها تميل نحو التبسيط والاغلاق ، فالأخبار
التي كان واقعها غير مختوم بنهاية محددة يميل الناس
الى ختمها بنهاية مرضية ، فالمجرم قد تفرض له الاشاعة
عقوبة ، لتضع بذلك نهاية مغلقة محددة للخبر أو
لل قصة من ناحية ، ولترضي الشعور الدفين لدى
الانسان بعقاب هذا المجرم وتمكن العدالة منه .

ثم ان الذي ينقل الخبر أو القصة موضوع الشائعة
يعز عليه أن يبدو في موقف الجاهل الذي لا يدري
بالتفاصيل ، فحفاظاً على نظرة الذين يحدثهم لا بد
من تقديم صورة كاملة عن الموضوع ولو عن طريق ملء
الفراغات من الخيال .

ولو تناولنا اشاعة راجت اiban اشتداد حملات
تصفية المسلمين في الخمسينيات والستينيات ، وهذه
الاشاعة أن هؤلاء الدعاة يستلمون المبالغ من أمريكا
وبريطانيا . . وقد حاول المروجون في اشاعاتهم هذه

أن يحددوا أرقاماً وشخصيات وامكنة كان يتم فيها التسليم والصفقة المزعومة .

أقول لو تناولنا شائعة مثل هذه وحاولنا تحليلها لوجدنا الامور الآتية :

١ - الطرف الذي أطلق الاشاعة وسهر على نشرها واذاعتها هو جهاز مخبرات تلك الدولة ، والأحزاب الشيوعية والقومية بهدف امتصاص أي شعور بالتعاطف يمكن أن تثيره وحشية الضربة في نفوس الجماهير . واستغل أسم أمريكا وبريطانيا لما تحمل هذه الأسماء من رصيد كراهية وتاريخ أسود وتجربة مرة في نفوس الشعوب التي ابتليت فترة طويلة باستعمار هذه الدول .

٢ - لا بد من اعطاء دليل محدد للعمالمة للجهات المذكورة ، فلو قيل انهم يفعلون هذا لعمالتهم للجهة المذكورة لما كان هذا في قوة اثبات العمالمة عن طريق تسلم المبالغ ، وهم يزيدون خطوة في تأكيد القضية في نفوس الجماهير بتحديد أشخاص وامكنة وازمنة ليوهبوا بحقية ما يزعمون ، فاعطاء التفاصيل يوهم بمنطقية القصة وقربها من المعقولة واستحقاقها التصديق .

٣ - قضية تسلم المبالغ تنم عن خبرة ميدانية عملية ، فالحكومات التي سهرت على شراء ذمم عملائها وضماثرهم يسهل عليها تصور القضية وتصويرها على هذا النحو ، والحزبيون الذين يعيشون على حساب السفارات يسهل عليهم أن يستلهموا واقعهم ويقذفوا خصومهم بما فيهم ، على حد قول المثل : رمتني بدائها وانسلت ..

٤ - هناك اعتماد كبير على جهل الشعب بحقائق الأمور ، مما ينم عن بعض عزلة للدعاة عن القاعدة الشعبية ، والا لا كانت راجت عنهم مثل هذه الشائعة ، ولا لقيت تصديقاً .

✱ ✱ ✱

ومن الاشاعات التي ترددت حول اكثر من شخصية اسلامية ، وفي أغلب بلاد المسلمين : عدم التزام بنات تلك الشخصيات الاسلامية أو نسائهم باللباس الشرعي أو الخلق الاسلامي ، وينسج المروجون حول ذلك القصص والنكات ، ويبالغون أو يبسطون كما شاء لهم هواهم وكما أسعفهم خيالهم .

وبتحليل هذه الشائعة ، أو هذا النمط ، تبدو
لنا الأمور الآتية :

١ - أن الدعاة في بلاد المسلمين مستهدفون ، وأنه
يراد تصفية هذا المصدر من مصادر مقاومة الكفر ،
والوقوف في وجه الزخوف والتيارات الفكرية حمراء
وسوداء .

٢ - أن للكافرين في أوساطنا ومجتمعاتنا السنة
وعيوننا وأجهزة بث بشرية تعمل على تدمير مصادر القوة
والطاقة والمقاومة في أمتنا .

٣ - أن قضية العرض والشرف والالتزام بالحشمة
لا يزال لها صدى ووقع عند الناس ، بالرغم من كل
الجهود والمحاولات ، وأن من عناوين الشرف الستر
في اللباس ، وأن الناس يعلمون حكم هذا الستر وأن
كانوا لا يلتزمون به في واقعهم ، لكنهم يعيبون به الدعاة
على ادعاء انهم غير ملتزمين به .

٤ - ادراك من يحارب هذا الدين ودعائه أن
السمعة الشخصية للداعية هي مصدر مهم من مصادر
قوته ، وأنه بضرب هذا المعقل تسقط شخصية الداعية ،
ويبهت كلامه في نفوس الجماهير ، وهي خطة جاهلية

قديمة اتبعتها الجاهلية مع كل مصلح من أنبياء الله عليهم السلام .

٥ - يشتم من الشائعة أيضاً ، رائحة عزلة الدعاة كما أسلفنا في الاشاعة سالفة الذكر ، والا لما لقيت هذه الشائعات قبولا وآذانا .

٦ - يؤخذ من الاشاعة ، كذلك ، غفلة الشعب ، وعدم التزامه بأخلاقيات دينه ، اذ كيف يقذف رواده ، ويهرف عنهم بما لا يعرف ، بل بما لم يكن ، ولا يكون .

✱ ✱ ✱

وهناك اشاعة متجددة دوارة لا تغيب عن الساحة حتى تعود اليها من جديد ، ولا بد أن كل واحد منا وقف عليها ، وتلك مزاعمهم التي يقولون فيها في قصاصة مكتوبة ترسل بالبريد أحياناً أو باليد مضمونها أن خادم الحجرة النبوية ويدعى الشيخ أحمد قد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أخبره الرسول في تلك الرؤيا أن الناس قد انحرفوا وأن القيامة قريب وما شاكل هذا ، ويطلب في نهاية الورقة ممن يقرؤها أن

بنسخ عنها نسخاً يوزعها هو بدوره والا أصابته
الأمراض . الخ .

والملاحظ أن الاشاعة هذه لا تزال تعيش منذ أكثر
من عشرين سنة فما معنى هذا ؟ أظن أن ذلك مؤشر
إلى أن وراءها تخطيطاً وتنظيماً يديم حياتها ويوقد من
تحتها كلما خبت نارها . ويمكن أن يسأل البعض وما
وجه الخطر في هذه الاشاعة حتى نظن بأن وراءها
تنظيماً ؟ ونقول بأن المقصود منها إبقاء المسلمين خرافيين
ينتظرون المنامات ويستلهمونها في مواقفهم ، وتقصد
كذلك إلى اشاعة روح الهزيمة في الناس إذ تقول له ان
الناس قد انحرفت وابتعدت عن دينها دون أن تذكر
الامل في عودتهم من شرادهم .

ثم تقصد أيضاً إلى الإيهام بأن الكفر سيبقى على
ما هو عليه وأن القيامة ستقوم قريباً ونحن على هذا
الحال ، وفي عقيدة المسلم ما ينقض هذا ، وذلك اعتقاده
اليقيني المروي عن رسوله بالتواتر أن الأرض كلها
ستحكم بشريعة الاسلام قبل الساعة وستكون كلمة الله
هي العليا في الأرض كلها وعلى الدين كله كما هو وعد
الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

وفي الاشاعة من ناحية رابعة صرف للمسلمين عن
الواقع ليعيشوا في عالم مهوم من الاساطير والماورائيات
ويتركوا الحياة والواقع والأرض والناس لأهل الفساد
والشر .

ولسنا ننكر الغيب ، معاذ الله ، ولكننا ننكر الاساطير
التي يوهمون أنها من الغيب .

ومن خلال رواج الاشاعة في جمهورنا البسيط
نستطيع استشفاف عدة أمور ، منها قلة وعي جمهورنا
خاصة في الخمسينيات والستينيات ، وأن دينه لا يعني
بالنسبة له الا شيئاً غامضاً غير محدد يمكن لكل مبطل
أن يتلاعب به ويعرف منه دون أن يثير فيه ذاك التلاعب
أي داع من دواعي الانتباه ، لأنه غارق في بحار اللاوعي ،
وفي حالة من الغيبوبة الفكرية عميقة .

ونستشف منها أن جمهورنا في أعماقه متدين وان
بدا في الظاهر منسلخاً متحللاً وأنه ان خوطب بالدين
تحرك وتأثر واستجاب ، حتى ولو كانت المخاطبة
منطوية .

ونعيد الى الذهن نتيجة أخرى هي أن وراء حالة الغيبوبة قوى تديمها وتطيل من أجلها اقصى مدة مستطاعة حتى يسهل امتصاص هذه الجماهير المخدرة واستنزافها ، وسرقتها لحساب القوى الكافرة الكبرى .

وأذكر في أعقاب حرب سنة ٦٧ وما تجرع الناس فيها من ويلات وهزيمة مرة زاد من مرارتها عدم توقعها - من الاكثرية - أقول عقب تلك الهزيمة تناقل الناس اشاعة متفائلة أسطورية وهي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبشر الناس بنصر قريب وأن هناك علامة على هذا النصر وهي أن الكثيرين وجدوا في داخل مصاحفهم أثراً من رسول الله صلى الله عليه وسلم هو شعرة من شعره الطاهر عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام .

وسرت الاشاعة سرياناً نشطاً في الناس ، وكأنك انتشلتهم من هوة وقرارة عميقة ، فقد خففت عنهم هذه الاشاعة ما شفهم من حرقة وفاجعة الهزيمة وصار الناس يقلبون المصاحف ليبحثوا فيها عن ذلك الأثر ليدعموا خيط الأمل الذي تراءى لهم في هذه الشائعة التي ظنوها حقيقة .

أقول ، لو جئنا نتأمل هذه الاشاعة ونحاول تحليلها
فماذا نستخلص منها من عناصر ؟ من العناصر التي
نستخلصها أن الناس في أعقاب الكوارث ينشط خيالهم
ويفزعون الى الوهم لعدم القدرة على مواجهة الواقع المر ،
ومن هنا فان الناس كانت تقسو على من يفند لهم هذه
الاسطورة لانها تشكل بالنسبة لهم حلماً لذيذاً لا
ويفزعون الى الوهم لعدم القدرة على مواجهة الواقع المر ،
الأيام .

وهذا يقفنا على نوعية الجمهور الذي كنا أعدناه
للمعركة ، قطاع بلا وعي ، ولا ارادة ولا صلابة ولا
احتمال ، ولا رؤية للواقع . الخ .

وقد تكون الشائعة التي أسلفنا من صنع المعذبين
أنفسهم أولئك الذين وقعوا في قبضة الانسحاق الروحي
والياس القاتل والهزيمة النفسية التي أعقبت الكارثة
العسكرية ، صنعها بدون وعي ولا قصد شعوري وانما
بطريقة لا شعورية ليتسلوا بها عن مأساتهم ، بدل
التفكير العلمي في وسيلة للمقاومة على ضوء معطيات
الواقع عندنا وعند عدونا . صنعوها ليعلقوا مقاومة

العدو على القدر وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويخرجوا هم «براءة» من التكليف والتبعات وبذل أي
جهد ، كل ذلك عن عدم حضور ذهني أو شعوري .

لقد وقفنا في أعقاب سنة ٦٧ نعيد بصورة لا شعورية
ما وقفه اليهود مع موسى عليه السلام أمام فلسطين
بصورة شعورية حين قالوا : « اذهب أنت وربك فقاتلا
انا ها هنا قاعدون » .

وليس بعيداً أن تكون الاشاعة من افراز عدونا
نفسه وروجت لها عناصره المنبثة فينا لانامة الجماهير
وهدهتها بهذا الصوت والرؤى الملونة المجنحة .

الإشاعة في السلم والحرب

ولئن كانت الإشاعة في ظروف السلم تلعب دوراً خطيراً ، فهي في ظروف الحرب أشد خطراً ، ذلك لأن أمور الحياة - وقت الحرب - تختلف اختلافاً عميقاً ، وتكون المعنويات والنفوس هي الميدان الثاني للاحتراب ، يوجه إليها كل فريق أسلحته ووسائل تدميره ، وبث إشاعته في المعسكر الخصم .

ومن ناحية ثانية فإن طبيعة التكتم الذي يلف العمليات والتحركات والخسائر يجعل الفرصة جد مهيأة لبث التقولات وإطلاق التخريصات .

ومن ناحية أخرى ، فإن الحروب تحتوي دائماً على مفاجآت سواء منها ما كان في الجانب الاستراتيجي أو التكتيكي ، مما يتعلق بأنواع الأسلحة ونظام التعبئة ، وهذه المفاجآت أيضاً تربة خصبة للإشاعات والتوقعات .

وكلنا يذكر حرب رمضان ٧٣ ، والثغرة التي أحدثها اليهود في جبهة مصر واثارت حولها زوابع من الإشاعات ، وزوبعة خاصة أخرى حول الجيش المصري الثاني المحاصر وظروفه وتطورات وتوقعات المستقبل، ودوامه أخرى

حول الاسلحة الموجهة تلفزيونياً ، ونزول الجيش الأمريكي ٠٠ الى آخر ما هنالك من أحاديث تناقلها الناس وقتذاك في محاولة منهم لتغطية الجزء المظلم والمعتم من الأخبار ، وفي محاولة كذلك لاثبات المشاركة بأي وسيلة حتى ولو بتناقل الاشاعات .

وللاشاعة في الحروب استراتيجية وتكتيك ، وليست عملاً ارتجالياً ، وقد كانت استراتيجية ألمانيا في الحرب العالمية الثاني هي : «فَرِّقْ تَسُدْ» ، وكان لهم خط استراتيجي آخر هو «بث الرعب» ، وقد كتب ادموند تايلور كتابه : «استراتيجية الرعب» يشرح فيه ما قامت به ألمانيا في هذه الناحية ، وتمهيداً بغارات جوية مكثفة لاشاعة روح الهزيمة ونشر القصص . وقد كانت الحملات الألمانية مركزة ومتناسبة مع كل مجتمع وجهت اليه .

على أن استراتيجية فرق تسد تقتضي مكرأ أشد وحيلة أوسع ، ولا بد من اجراءات عملية أو استفلال أحداث واقعية لتدعيم كلا الاستراتيجيتين ، ولا يكتفى بمجرد اطلاق الاشاعة .

أهداف الاشاعة في الحرب

يمكن تلخيص الأهداف التي تستخدم فيها الاشاعة في الحرب بما يأتي :

١ - الاستخدام بقصد التفتيت • ويمكن أن نقصد بالتفتيت تفتيت المعنويات أو تفتيت الصفوف • ويمكن أن نتصور تفتيت الصفوف على واحد من هذه الأنحاء أو بها جميعاً •

« أ - بث الفرقة والشقاق بين صفوف العدو وجماعاته •

ب - التفرقة بين العدو وحلفائه ودفعهم الى التخلي عن نصرته •

ج - تحييد القوى الأخرى وحرمان العدو من محالفتها « (١) •

وقد استخدم الألمان الاشاعات المتفائلة والمتشائمة بقصد تفتيت معنويات الفرنسيين ، فكانوا يجعلونهم

(١) المدخل الى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الاسلامية : جمال الدين محفوظ ، ص ١٢٢ •

يتأرجحون بين الأمل واليأس ، وينشرون فيهم قصداً
أنباء انتصارات موهومة ثم لا يلبث أولئك أن يكتشفوا
أنه لا أساس لها من الصحة فيرتدون في قرارة اليأس -
ثم يطلقون فيهم اشاعة عن هزيمة أو خسائر فيزدادون
كرباً على كرب وضعفاً على ضعف .

كما استخدموا الاشاعة بقصد تفتيت الحلفاء ،
وايجاد جو من عدم الثقة بينهم .

٢ - استخدام الاشاعة كستارة دخان ، في سبيل
طمس الحقيقة أو الاخبار الصحيحة يمكن اطلاق سيل
من الشائعات من ضمنها بعض المعلومات الصحيحة ،
فيضطرب الطرف الخصم فيما وصله من معلومات لعلها
تكون من قبيل السيل الذي يسمعه من الشائعات ،
وبهذا الأسلوب يصعب على الجانب الآخر اكتشاف
الاسرار الحقيقية والاخبار الصحيحة من الاخبار
الكاذبة .

٣ - تحطيم وسائل اعلام الخصم . بأن تنشر
خبراً يوهم أن العدو أصاب منك شيئاً أو تخرج اشاعة
بهذا الخصوص ليذيعها العدو أو ينشرها في محطاته .

أو وسائله الاعلامية ، ثم تأخذ أنت الخبر وتفنده على الواقع فتنحط قيمة اعلاميات العدو .

٤ - استخدامها كطعم لتصيد به المعلومات والأنباء التي يتكتم عليها العدو . مثال ذلك أن تنشر أخباراً أو شائعات عن خسائر ضخمة في صفوف العدو ، فتضطره أمام ضغط شعبه أن يعربَ عن الحقيقة ويبينها ، فيقدم لك معلومات كنت أنت في أمس الحاجة اليها(٢) .

وهنا يبرز دور القيادة المحنكة الذكية المجربة ، ودور الشعب الواعي المتفهم الصابر المتعاون مع قيادته المخلصة . وبدون هذين العنصرين يسلم الناس مقاتلهم لعدوهم وهم لا يشعرون .

٥ - « تشكيك العدو في سلامة وعدالة الهدف الذي يحارب من أجله » .

٦ - زعزعة ثقة العدو في قوته من حيث الرجال والعتاد والقيادة ، وثقته في امكان احراز النصر واقناعه بأنه لا جدوى من شن الحرب أو الاستمرار في القتال(٣) .

(٢) يرجع الى كتاب صلاح نصر : الحرب النفسية . ج ١ ص ٣٢٥ .

(٣) جمال محفوظ : المرجع السابق ، ص ٢١٢ .

٧ - بث الرعب في قلوب الأعداء وتهديم قواهم النفسية والمعنوية ، وفي هذا نتذكر حديث النبي صلى الله عليه وسلم : « ٠٠ ونصرت بالرعب مسيرة شهر » (٤) .

وما كان ينشره الأعداء عن خالد رضي الله عنه من اشاعات لعبت دورها الفتاك في معنويات أولئك الأعداء ، ومن ذلك مثلاً في معركة اليرموك أن جرجة سأل المسلمين ، وجرجة رسول الروم الى خالد : هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكمه فلا تسله على قوم الا هزمتهم ٠٠٠ الخ (٥) .

وقد « كان جنكيز خان مبرزاً في نشر الاشاعات المروعة عن جيشه ، فكانت قوافل التجار تشيع بين أعدائه - وصفاً أسطورياً لجيشه ، مؤكدة أن جنوده يغتزون بالثعالب والكلاب » (٦) .

(٤) رواه البخاري باب التيسم .

(٥) انظر القصة بطولها في الكتاب التاريخي العسكري القيم : الطريق الى دمشق لاحمد عادل كمال ، ص ٤٥٦ ، ومن تمام القصة اسلام جرجة .

(٦) من مقدمة صلاح مخيمر لترجمة سيكولوجية الاشاعة ، ص ٩ .

استراتيجية وتكتيك الاشاعة

هل للاشاعة قاعدة تنطلق منها ، أم أنها عمل
فوضوي يقوم به فرد أو جماعة لتحقيق مقاصد قريبة
أو بعيدة ؟

وللإجابة عن السؤال نقدم أولاً بأن هذا الزمن
هو زمن التخصص وتوسع العلوم ، وتشقيق الفروع
من الأصول ، فعلم النفس مثلاً ولّد منه أصحابه فروعاً
كثيرة جداً ، وأصبح كل فرع علماً قائماً بذاته .

والاشاعة في هذا الجو المولع بالتعمق والاستقصاء
لم تعد عملاً فوضوياً غير منضبط وانما غدت علماً من
العلوم المنضبطة ذات المناهج والقواعد والأسس .

ومن ناحية أخرى ، فإن من أطلق الاشاعة له أغراض
وأهداف محددة ، ولذا فإنه يسلك في تحقيقها طريقاً
منظماً محدداً من شأنه أن يوصل الى المراد ، ويصيب
بدقة الأهداف المرسومة .

ولسنا نعني - بطبيعة الحال - أن كل اشاعة
ومشيع هو أو هي بهذه المثابة ، فلسنا ننفي وجود العمل

الفوضوي ، والاشاعة الفوضوية ، وانما نعني أن من أراد دراسة الاشاعة علماً واضحاً منضبطاً أمكنه ذلك .

وقد أسلفنا أنه كان للأطراف المتنازعة في الحربين العالميتين خطوط ثابتة وأخرى متغيرة في حملاتهم النفسية ، أو بتعبير آخر كان لهم استراتيجيتهم وتكتيكهم ابان تلك الحروب وبعدها .

فبريطانيا مثلاً أنشأت في عام ١٩١٨ قسماً للدعاية ضد العدو برئاسة اللورد نورثكليف ، كما أمر الرئيس الأمريكي ولسون بإنشاء مكتب للاستعلامات العامة تحت رئاسة جورج سريل على أساس الاستفادة من الخبرة المستخلصة من الاعلان التجاري . وقد « بلغ ما أسقط من منشورات على ألمانيا بواسطة البالونات خلال اكتوبر تشرين عام ١٩١٨ (٥٣٦٠٠٠٠) منشوراً » كما لعب عملاء بريطانيا وفرنسا وأمريكا داخل ألمانيا دوراً في توزيع هذه المنشورات « (١) » .

(١) ميلوش ماركو : الحرب النفسية ، ص ١٦ .

ولكن ألمانيا قد سبقت في هذا المضمار خصومها ،
فقد طورت وسائلها في الحرب المعنوية حين أنشأ هتلر
وزارة خاصة بالدعاية ، ووجهت برامج اذاعية الى العديد
من بلدان العالم ، وكذلك فعلت الدول الغربية - ثم
دخلت الاذاعات السرية ميدان الاحتراب .

ومن الخطوط الثابتة للدعاية الألمانية الخط
الاستراتيجي الملخص في شعار : « فرق تسد » ثم الخط
الاستراتيجي الآخر : « خط الرعب » .

ويبقى مجال الابداع التكتيكي مفتوحاً للتطبيق
اليومي لهذين الخطين ، ولغيرهما بطبيعة الحال حين
تتفق عبقریات الشر في المعسكرين ، بل في المعسكرات
الجاهلية ، وتنشئ أساليب شيطانية في قهر
الخصوم والتغلب عليهم توفيراً للجهد والوقت
والجنود .

والناظر في الخط الاستراتيجي للاعلام الاسرائيلي
يجد واضحاً خط التفرقة والعزف على أوتار العنصرية
الاقليمية أو الطائفية وفي حروبه المتوالية مع العرب

كان يعتمد هذا الخط^(٢) ، بالإضافة الى خط استراتيجي آخر هو اشاعة تفوق الجندي الاسرائيلي وتخلف الجندي العربي والياس من احتمال النصر ، وفي سبيل تحقيق هذا الخط كان يلجأ الى الاخبار والاراجيف والاشاعات التكتيكية التي تخدم الخط الاستراتيجي .

(٢) في حربه الاخيرة عام ٨٢ في لبنان تجلى هذا الخط حين حاول التفرقة في صف المسلمين بين لبنانيين وفلسطينيين وهو في الحقيقة يقصدهم جميعاً ، وحاول استغلال الاقليات العديدة في لبنان وتوظيفها لتحقيق مآربه أو تحييدها على الأقل ان لم يكن كسبها .

الاشاعة والمثل والنكتة

تعتمد الاشاعة في رواجها وانتشارها بالاضافة الى
التهيؤ النفسي والاجتماعي لدى الجماهير ، على الصياغة
المعبرة المختصرة المؤثرة .

ولذلك فقد يستعمل المثل الشعبي الدارج في
الترويح لاشاعة ما عن شخص أو جهة ، لأن المثل يحوي
الميزات المطلوبة من الاختصار ودقة السبك والتأثير
النفسي ، ولأن المثل عمل على تنقيحه وصياغته أجيال
متعاقبة ، واشترك في تهذيبه عقول كثيرة ، وألسنة
وأفهام وتجارب وأشخاص ، والمشيع الذكي يأخذ هذا
السلاح جاهزاً فيوجهه نحو خصمه فيعطي المثل صورة
تطبيقية من الواقع المعروض محور الاشاعة .

ففي اشاعة عن شخص في موقع مسؤولية مالية أو
غيرها قد يستعمل خصومه في حربه وينقلون بين الناس
عبارة من كلمتين هي المثل الدارج : « حاميها حراميها » .

وقد تستعمل النكتة أو الواقعة الفكاهية أو
الكاريكاتير في اطلاق الاشاعات أو ترويجها ، وسواء

صدقها انناس أم لمْ يصدقوها فانها تفعل فعلها في
حرب الخصم وتهديم بنيانه أو اضعافه .

وفي فترة الستينيات ، حيث ركزت الحرب ضد
هذا الدين تركيزاً أثيماً لم يسبق له نظير ، خرج في
الساحة سيل من النكات المطلقة على العلماء أو الشيوخ
أو المسلمين المتمسكين بدينهم مما كان له الأثر البالغ
والسيء في النفوس ، وأثره التهديمي الواضح في مقومات
الأمة ، ولكن .. ماذا يصنعون ، والله غالب على أمره !؟

وقد ساهمت ريشة رسامي الكاريكاتير في هذه
الحملة على رجالات الاسلام وعلمائه ، فالعلامة الشيخ
حسنين مخلوف كانت الكاريكاتيرات التي تقصده وتلمزه
تطلق عليه اسم الشيخ متلوف ، وقد رسم في احدى
المرات أحد الشيوخ في موقف غير لائق بين راقصات
يشاركن الرقص ، ليوحي للقاريء جملة من الايحاءات
السلبية ضد الدين ومن يدعون اليه أو يرتبطون به .

وقد صدر في فترة من الفترات ملحق كاريكاتيري
لاحدى المجلات «الدينية» !! يصور الدعاة مجرمين أعواناً

للشيطان قتلة سفاحين متصلين بالأعداء والقوى
الاجنبية .

ومخلفات تلك المرحلة لا تزال في أفلام السينما
حين تصور الشيخ أو المأذون أو المتدين أو رجل
الطريقة ٠٠ الخ ، مأفوناً من المأفونين ، غريباً عن الحياة
والناس حتى في طريقته في الكلام وفي ملابسه وحرركاته
وشكله ٠٠

وحتى شخص الرسول صلى الله عليه وسلم لم
يتورعوا في ديار الاسلام من أن يسيئوا اليه بالنكتة
والكاريكاتير ولا أقول ما صورته به مرة جريدة يومية
مشهورة تلمز قضية زواجه صلى الله عليه وسلم ، وقد
الف كاتب شيوعي عميل مسرحية جعل عنوانها :
« محمد ٠٠ احمل حقائبك وارجل » - ورحل الباطل
والحمد لله ، وبقي الحق وأهله . والله الأمر من قبل
ومن بعد ، وله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، وقد انفثت
تلك الفقاعات وزهق الباطل وانطمس وفقاً لقانون الله :

« فاما الزبد' فيذهب' جفاء وأما ما ينفع الناس
فيمكث' في الأرض » الرعد .

وكان حصاد تلك التجديفات على قيم الاسلام هزيمة عام ٦٧ التي أعقبها سيل من النكات في الخط المعاكس ، فقد بدأ المكبوتون والمختنقون يتنفسون من خلال النكتة ، ويعبرون عن معارضتهم وكرههم للأوضاع ، ويحللون ظروف الحرب وأسباب الهزيمة كل ذلك من خلال النكتة . ورصدت الأجهزة الشارع الذي يطلق الاشاعات وحاولت تطويقها ، ولكن الموجة كانت فوق الاحتواء .

« ومن النكات التي راجت في الحرب العالمية الأولى والثانية أن رجلاً انجليزياً كان يستحم في بحر المانش وكان يرتدي (فانلة) صديق أمريكي اقترحها منه وكان كتب عليها عبارة : « لقد كسبت أمريكا الحرب » ، ونادى الصديق الأمريكي على صاحبه الانجليزي يحذره من سمك القرش فرد الانجليزي مشيراً الى الكتابة على الفانلة قائلاً : « لست أخشى شيئاً ، فليس هناك سمك يرضى أن يتلع مثل هذا الكلام » . وقد رويت النكتة أيضاً على عكس الرواية السابقة اذ جعلت السابح أمريكياً والنقش متحدثاً عن نصر الانجليز ، والنهاية واحدة » (١) .

(١) الحرب النفسية لصالح نصر ، ج ١ ص ١٤٠ .

الاشاعة والروح المعنوية

الاشاعة قد تكون سلبية أو ايجابية ، متفائلة أو متشائمة ، بيضاء أو سوداء ، اشاعة أمن أو اشاعة خوف كما اشارت الآية : « واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به » . والاشارة القرآنية لم تحبذ كلا النوعين من الاشاعات وحملت على الاذاعة سواء أكانت للجانب المتفائل أم المتشائم .

وقد يبدو لأول وهلة أن تناقل الجماهير لاشاعة حسنة أو طيبة التوقعات فيه مصلحة ، وبالتدقيق يتبين لنا حكمة النهي عن هذا . فالاشاعة المطمئنة قد يترتب عليها عدم التقدير السليم للموقف والمبالغة في تقويم الذات والتهوين من الخصم ، وقد يترتب عليها انهيار الروح المعنوية حين يفاجأ الصف بعد قليل بحقيقة الموقف وبما يصدم مشاعره التي حضرها في اتجاه معين ولم يعبئها للنقيض .

ولامر حكيم كان في بدر ما عبر عنه القرآن بهذه الصورة : « .. ويقللكم في أعينهم » لقد استهانتم

الجاهلية المتغطسة بجيش ليس يبلغ ثلث جيشها
فكانت النتيجة ما كانت .

وقد ينبني على الاشاعة المتفائلة ايصال معلومات
عسكرية أو اسرار عن الجبهة الداخلية الى معسكر
الخصم فيفيد منها ولا نحقق نحن شيئاً .

قال في كتاب سيكولوجية الاشاعة : « والاشاعات
الراغبة من ناحية أخرى ، بما تنطوي عليه من تفاؤل
جد ساذج قد أدت أحياناً الى الرضى عن الحال بما
يوهن العزائم ، ويتبدى استعداد الناس للاستنامة عند
تلقئهم الأخبار السارة من هبوط تبرعات الدم اثر أخبار
الانتصارات ، فكلما اعتقد الناس في اشاعات النصر
الوشيك أو النهاية القريبة للحرب كانوا يميلون الى
التكؤ في الجهود التي يبذلونها والى التقليل من
التضحيات التي يقدمونها » (١) .

واذا كان النوع الأبيض من الاشاعات يلقي مثل
هذا النهي ، فكيف بالآخر الذي كان أساساً لازهاق
واهدار ما لدى الجماهير من ثقة أو تماسك ومعنويات .

(١) سيكولوجية الاشاعة ، ص ٢٨ .

لا ريب أنه أجدر بالمنع وأولى بالمقارنة - فقد يقود هذا النمط من الشائعات الى تصرفات يكون من شأنها ضعضة وزعزعة الجبهة داخلياً وخارجياً ، فالجندي في خندقه ان انتشر في ثكناته ووحدات القتال التي هو من ضمنها أن العدو وصله نوع قذائف موجه لا يخطيء بل نسبة اصابته رهيبة وقوته التدميرية عجيبة ، كان من شأن هذا أن يفت في العضد ويوهن العزائم . وتسري هذه الروح من الجنود الى الشعب وأحياناً تعكس سيرها من الشعب الى الجيش .

ولا ننفي هنا كون المعنويات متصلة بالناحية المادية - ولو بنسبة ما - ولا نقول ان الايمان بالعقيدة الاسلامية ينزع التقييم المادي بالكلية ، والا لكان مطلوباً من المسلمين بأي عدد كانوا وتحت أي ظرف أن يواجهوا الجاهلية ، وليس الامر كذلك ، فهؤلاء هم صحابة النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم ، يَصِفُ القرآن موقفهم في غزو بني النضير وكيف كان تقويمهم للموقف، وأنهم لما أحاطوا علماً وعن كتب بحصون عدوهم داخلهم شعور بعدم امكانية خروج اليهود من قلاعهم فقال سبحانه :

« هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب
من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم
مانعتهم حصونهم من الله .. » الحشر .

وحسب المستوى التربوي الذي عليه شعب ما
يكون صدى وتأثير الاشاعات على معنوياته ، فكلما كانت
النفوس محكمة البنيان والعلاقات قوية الاركان كان ثمة
اطمئنان الى أن الاشاعة لن تنخر في الصف ولن تدخل
بين الفئات ولن تقتحم النفوس والمعنويات ، وعلى العكس
فيما اذا كانت النفوس مهزوزة والعلاقات مضعضة ،
فان المحتمل حينئذ والمتوقع أن الاشاعة تؤتي أكلها
ونتائجها .

ونظرة على موقف المسلمين الذي سجلته هذه الآية
يتبين المراد :

« الذين قال لهم' الناس' ان' الناس' قد جمعوا لكم
فاخشوهم فزادهم' ايماناً وقالوا : حسبنا الله ونعم
الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم
سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » .
آل عمران ١٧٣ - ١٧٤ .

فهذه اشاعة أطلقها القرشيون عقيب أحد قاصدين
منها أن يوهمو النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين
معه أن عدوهم قد حَضَر قوات جديدة من القبائل وعاد
لاستئصال الاسلام ، ولم تستطع تلك الاشاعة أن تجد
لها طريقاً في نفوس محصنة مؤمنة بل آتت أكلاً عكسياً
ورداً غير متوقع من الكافرين ، فإزداد المؤمنون ايماناً
بدل أن يتزلزلوا ، واعتصموا بالله وتقوا به بدل أن
يفروا من وجه القوات الزاحفة الموهومة .

وفي المقابل أطلق الصف المسلم اشاعة مضادة أنه
قد خرج في هذا اليوم من لم يكن خرج بالأمس وأن
المسلمين ملء قلوبهم التصميم على انتزاع النصر وتعويض
خسائر أحد . ولما كان صف قريش لا يملك المؤهلات
النفسية والتربوية التي عند المؤمنين ، فقد دمرت موقفه
تلك الاشاعة ، فعزم القائد العام أبو سفيان على العودة
وعدم المخاطرة ، وانفرط عقد الاصرار الذي كانوا
يتظاهرون به ، وخفتت الحمية الجاهلية لأنها لا تصمد
أمام التحديات الحقيقية .

الاشاعة والرأي العام

الاشاعة وثيقة الصلة بالرأي العام ، وهي من عناصر تكوينه والتأثير فيه - والتقاء الاشاعة بالرأي العام من أكثر من زاوية ، فهي أولا لم تصدر الا لكونها تمس موضوعاً ذا اهمية بالنسبة للرأي العام ، أو على الأقل بالنسبة لقطاعات واسعة فيه . وهي في النهاية تعود لتصب في الرأي العام تأثيراً وتفاعلاً . فهي اذن - بدءاً ومصباً - متصلة بالرأي العام . ولئن ساهم الرأي العام في صناعة الاشاعة ، فان الاشاعة تعود بدورها لتصنع هي الرأي العام وتؤثر فيه وتسيره الوجهة التي تريد .

ومن ناحية أخرى فان الشائعة التي تنطلق من مجتمع تكون محملة بثقافة هذا المجتمع ، وتكون متأثرة بعاداته وقيمه وعقليته ونفسيته وأنماط حياته .

والاشاعة - كما يطلق عليها البعض - هي الرأي العام الطارئ ، حيث يمكن الوصول الى اجماع حول

قضية ما بمجرد اطلاق اشاعة ، ودون الحاجة الى القيام
بعمليات مدروسة مطولة :

ومن ناحية أخرى ، فان هناك تبادلاً تأثيرياً مشتركاً
بين الفرد والجماعة ، ولما كان السلوك يتأثر بالشائعة
فتصبح الشائعة بالتالي وسيلة من وسائل تكوين الرأي
العام ، والتأثير في سلوكه ومواقفه فرداً أو جماعة -
والشائعة - أيضاً - انما تعبر عن اهتمامات أو تعلقات
وتطلعات الرأي العام ، وهي بالتالي ترجمانه النفسي
والخلقي والفكري ، ومصور قيمه وعاكس نفسيته
وسلوكه .

والرأي العام تبنيه بالدرجة الأولى وسائل الاعلام ،
وهذه الوسائل من مصادرها المهمة الاشاعة . وكم
لكذب الأخبار من آثار ودمار ، وما دائماً يملك الناس
التصحيح والحقيقة ، وما دائماً يقفون على الوقائع كما
هي . وما اكثر الاشاعات حول مخالفتي الأوضاع
السائدة ، فهم يتعرضون للتصفية ويتهمون ، وعلى
رأي المثل : ضربني وبكى وسبقني واشتكي ، واذا كان
خصمك القاضي فلن تشتكي .

والمتابع المهتم لا يزال يذكر الحملات الشرسة الماثرة
مع كل حملة تصفية واجهت المسلمين • فتخزين
الاسلحة مثلاً ، والصلوات بالسفارات ، وحفر المصاحف
لتهريب المسدسات ، وتخطيط نسف الجسور والمحال
العامة ، وتبني نية الانقلابات ، وخطط الاغتيالات ،
وما الى ذلك من ترهات واشاعات لم يكن الصف المسلم
يستطيع ازاؤها دفعاً ولا رداً • فكان للاشاعة مئة فم
ومئة لسان ، ولم يكن الحق يملك في المقابل شيئاً •

الاشاعة والحرب النفسية بيننا وبين العدو الاسرائيلي

لسنا مبالغين اذا قلنا ان أمضى أسلحة العدو في حربنا الحرب النفسية ومن ضمن وسائلها بل من أهم وسائلها الاشاعة .

وكما تتطور الاسلحة المادية طور العدو هذا السلاح وزاد من فعاليته ووسع استخدامه ، ومنذ مؤتمر بال في سويسرا وعدونا يوظف في خدمته هذا السلاح ، ويحشد له خبراء النفس من أساتذة الجامعات ومن غيرهم .

ومن ذلك الوقت وهو يبت اشاعته على ثلاث موجات ، فعلى صعيد الداخل أي فلسطين والعرب ومن اليهم كان يشيع أنه بمهاجريه القلائل لا يبغي أكثر من المأوى والعمل ، وكان اليهود يلبسون لهذا الدور ثوب الحمل .

وأما على صعيد الغرب أوروبا وأمريكا فقد نشطت وسائلهم تهية الأذهان لميلاد اسرائيل ، وتوهمهم أن هناك « أرضاً بلا شعب هي فلسطين وشعباً بلا أرض

هم اليهود ، (١) . حتى وصلوا بعد الحملات المكثفة والجهود المنظمة الى استصدار وعد بلفور وما هو أكثر منه .

وأما على صعيد اليهود أنفسهم في الشرق والغرب فقد نشطت أجهزة البث والتعبئة الشعبية في العزف على نغمة أرض الميعاد والأجداد ، وأن فلسطين ستكون بالنسبة لليهود موضع قدم يقفزون منه على بقية العالم العربي المهلهل الأوصال والأحوال ، وأنها الأرض التي ستغدق عليهم المن والسلوى والعسل واللبن . . وأنه آن لليهود أن يستريحوا من عناء التشرذ والمجازر والمذابح تحت كل سماء . بل يذهب بعض المحللين الى بعيد حين يصورون أن مجازر هتلر في المانيا انما كانت بترتيب يهودي حتى يضطر اليهود الى الهجرة من البلاد التي بنوا فيها وضعهم الاقتصادي وتكيفوا معها الى فلسطين التي سيبدأون فيها من الصفر .

لقد وضع الاعلام الاسرائيلي الشعب اليهودي بين خيارين اما الفناء والموت والذوبان في الشعوب التي يعيش اليهود بينها واما الاستقلال في أرض الميعاد وحفظ

(١) راجع الرأي العام للدكتور محمد عبد القادر حاتم - مقدمة الكتاب .

الشخصية اليهودية بالهجرة الى فلسطين واقامة الدولة
العبرانية فيها .

وكان لهم في النهاية ما أرادوا ليس لانهم قدر لا يرد
ولكن لأن الساحة خواء فانتصر التخطيط على الفوضى .

وبعد مرحلة من المخطط اليهودي بدأ اليهود ينفذون
الخطوة التالية وهي تهجير الفلسطينيين وتفريغ فلسطين
من أهلها .

وكان ما كان من مذبحه دير ياسين التي نفخ فيها
جهاز الاعلام والاشاعة الاسرائيلي وكبرها ليوظفها في
تخويف العرب وبث الرعب في قلوبهم حتى يرتحلوا .

ولقد وقعت في المصيدة أجهزة الاعلام العربية حين
ضخمت هي الحدث فحققت مراد العدو - بغباء أو عمالة -
من حيث قصدت - في الظاهر - الى تعريته وفضحه أمام
الرأي العام العالمي .

ولكن اعلامنا لم يصل لفضح اليهود بل وصل
لتهديم معنويات أهل فلسطين .

وانتصر التخطيط من جديد على الفوضى .

ثم كانت هزيمة ٤٨ ، وهزيمة ٥٦ ، وهزيمة ٦٧
وفق المتواليات العشرية الاسرائيلية .

وفي كل مهزلة أو معركة من المعارك السالفة كان سلاح الاشاعة يلعب دوره المهم والفعال لصالح اسرائيل وفي كل مرة - وبغباء أو بعمالة - يقع الاعلام العربي في الشرك ليروج للاشاعات الاسرائيلية .

ففي سنة ٤٨ كانت اشاعة أن الفلسطينيين باعوا أرضهم - وأكثر - لليهود ، وأن عدداً كبيراً جداً من الجواسيس - منهم - يشتغل لحساب اسرائيل ، ويستشهدون لذلك بأسماء من بدو بير السبع وغيرها ، ان صدق منها واحد ، فهي فيما وراءه محض اختلاق وافتراء .

ولقد سرت الاشاعة حتى على لسان العسكريين والقادة والمسؤولين ، وأي احباط نفسي أشد من الاحباط الناشئ عن مثل هذه الاتهامات والشكوك ؟

ولقد ترتب على هذه الاشاعة أن أقصى العنصر الفلسطيني - في ذلك الوقت - عن الساحة لهذه الدعاوى (٢) .

(٢) راجع كتاب الاستاذ كامل الشريف : الاخوان المسلمون في حرب فلسطين سنة ٤٨ والذي صدرت طبعته الثالثة تحت عنوان : قتال الفدائيين في حرب فلسطين فقد جاء في هذا الصدد :

ثم بدوا بعد تفوقهم العسكري الذي أذهل المحللين العسكريين يشيعون أسطورةً ووهماً أنهم القوة العسكرية التي لا تقهر ، وأنه لا أمل للعرب في قتالهم وما عليهم أي العرب إلا أن يتعايشوا معهم ويرضوا بالأمر الواقع ، ولا جدوى من مناحضة الصخر .

وكذلك أشاعوا عن قياداتهم العسكرية وعبقريتها في التخطيط وكفاءة الجندي الاسرائيلي والطيار المقاتل الذي يستطيع أن يطلع عدداً من الطلعات في اليوم ضرب رقماً قياسياً بين طياري العالم كله .

وفي المقابل هونوا من شأن المقاتل العربي وقلة وعيه وانعدام ثقافته ودناءة روحه المعنوية وتردي كفاءته القتالية .

وكانت هذه الشائعات ومرورها على الناس وتأثرهم بها ، أخطر من النكسة .

== ثم جاءت الجيوش العربية فقضت قضاءً تاماً على الشعب الفلسطيني ووصمته بالتجسس والخيانة والعمل لصالح الاعداء ، وكان ذلك بفعل دعايات الانجليز واليهود .. وهكذا أخرج الشعب المكافح من مسرح الحرب وقضي عليه أن يظل بعيداً عن الميدان ويحرم حتى من حق الدفاع عن وجوده وكيانه .. ص ٤٣ ط ٣ .

ولعل من أهم أسباب رواج اشاعات اليهود الكبت السياسي في عالم العرب ، وتدهور الامور وتفاقم الفساد وشيوع التسيب مما جعل الامل في مستقبل هذا العالم يبدو ضعيفاً واهناً ، مما يسهم في تضخيم صورة العدو الاسرائيلي .

وكان هذا الواقع الفاسد أيضاً أخطر على نفسية الفرد العربي من اسرائيل واشاعات اسرائيل .

وعلى الصعيد العربي في ابان الخمسينيات والستينيات ، نشطت أسواق العرب التجارية الكلامية والتهريجية البهلوانية وفشت العنتریات .

واستغلت اسرائيل هذه السلبيات وعكستها على الغرب مع التضخيم والمبالغة ، وأصبحت كلمات زعماء تلك المرحلة ومعلقّيها شعارات تحذيرية ترفعها الصحف والأبواق الصهيونية المسيطرة في الغرب .

والملاحظ أن الشعب الاسرائيلي يقوم بدوره الفعال في بث الشائعات ، فمزاعم التعايش وحسن الجوار وحب السلام ، والمستقبل المشترك البسام ، والقراة التاريخية وماشاكل من المعزوفات الدعائية ، كل هذه تجد الشعب

اليهودي كله يروج لها أينما حل ، وكأنهم لقنوها من شيطان واحد .

ففي كل مجلس يجمعهم مع العرب في الأرض المحتلة يرددون هذه الفرية ويكررون نفس المقولة .

وفي أعقاب حرب سنة ٧٣ ، والمقاطعة البترولية العربية - التي يقال انها حصلت - نشطت أجهزة الصهيونية وابواقها في تسويد صورة العربي في الغرب وبث الحقد عليه بوصفه عدو الانسان الأوربي والأمريكي والذي يمكن تحت أي تهديد أن يشكل خطراً على الحضارة الغربية ، ومن هنا فان على الغربيين أن يتداركوا هذا الأمر ويعالجوه علاجاً جذرياً ، وقامت فكرة تشكيل قوات التدخل السريع بوحى من شياطين اليهود الذين يبشون سمومهم في الغرب عبر وسائل الاعلام التي يمتلكونها (٣) .

(٣) وهم يمتلكون أغلب وسائل الاعلام ، ومما روجه اليهود عبر تلفاز الغرب (فيلم سينمائي) يحكي قصة فتى عربي اسمه مصطفى يعيش وسط أسرة يهودية تأخذه في رحلات فيرفض التكيف ، ويجهشون له مناماً نظيفاً فيتسلل منه الى حظيرة المواشي ليصلي هناك وينام .. الخ .

وكثيرة هي الاشاعات التي يسهر عليها يهود وينشرونها وسط عرب الأرض المحتلة أو غيرهم . ومن هذه الاشاعات كثرة عملائهم وجواسيسهم من بين العرب الى حد يوهمون معه السكان أن كل انسان يمكن أن يكون من مخبرات وجواسيس اليهود . ورواج مثل هذه الشائعة التي قد تصدر أحياناً في صورة نصيحة : لا تأمن أحداً على خبيثة صدرك ، لا تثق ولا بأقرب الناس اليك ، الجدران يمكن أن يكون لها آذان ، الصمت أنجي ، وغيرها من النصائح . . رواجها يفتك بروح الأمة ويصفيها من المعنويات وقد تكون الاشاعة في صورة خبر مجرد عن كثرة الجواسيس وقد يكون المروج له نفس الجواسيس ليبعد عن نفسه التهمة ، وليقطع جسور الثقة بين أفراد الشعب .

ومما يشيعون وسط الناس هناك أن أجهزتهم الاستخبارية النشطة وسط البلاد العربية لا تغادر

= وغيره من الافلام التي تعمق صورة عن العربي الشهواني الجشع الى المال والتمعة الذي لا يحسن شيئاً ، وهو عالة على الانسانية كل عليها يمتص خيراتها دون مجهود أو مردود .
ونقول والاسف يقطع نياط القلب ان كثيراً من رعاينا -
يعمقون هذه الصورة أكثر من اشاعات اسرائيل وافلامها .

صغيرة ولا كبيرة الا وتحصيتها ، وأحياناً يأتي الطالب ليراجع بشأن التصريح ليخرج للدراسة ، فيستدعونه ويلقون في روعه هذا الأمر ، ثم يطلبون منه أن يزودهم هو أيضاً بما استطاع عن أحوال وأوضاع الناس في البلد الذي سيخرج اليه ، وهو لن يزيدهم أي علم - كما يقولون - فقط ليشعروا أنه متعاون يستحق أن يسهلوا له أو لا يستحق ويوقعون في وهمه أيضاً أن أغلب زملائه الطلاب استجابوا فلِمَ المعاندة من قِبَلِهِ هو والتشدد ، ثم يقولون له : هذا مؤشر أنك تقوم بأعمال ضد اسرائيل ، ليرهبوه بعد الترغيب - وهكذا من الأساليب .

ومن أفانين اليهود في الاشاعة أنهم يصنعون الزعامات الموالية لهم عن طريق التعليق عليهم ووصفهم بالتطرف وأنهم أعداء اسرائيل ، ولبساطة تفكير شعبنا وعدم معرفته بسبيل المجرمين اليهود وكيدهم وعدم وعيه على الأعيبهم وأحاييلهم فانه يأخذ الأمور على ظاهرها ويطبق عليها مقياس : عدو عدوي وليي وصديقي - وكم عظمتنا من طواغيت خدموا اسرائيل منطلقين من سذاجتنا ورواج حيل عدونا الاعلامية فينا ، ووقوعنا فرائس لمكايده وشراكه الخداعية الاشاعية .

وفي المقابل قد يتظاهرون بالود لفرقاء وهم يضربون
لهم أقصى ما يمكن تصوره من الضغينة والحقد والمكر
السيء ، ولكنهم يفعلون هذا ليشوهوا صورتهم لدى
الجمهير على القاعدة نفسها : صديق عدوي عدوي .

ولقد أخبرني الكثيرون من الداعين الى الله المخلصين
من أبناء الضفة أن اسرائيل وعملها من العرب ينشرون
وسط الناس أن المتدينين مرضي عنهم في اسرائيل وأن
كثيرين منهم يعملون مع اسرائيل ..

وعلى النقيض يشيعون عن الماركسيين مثلاً
فيظهرونهم أمام عيون الشعب في أبواب المناضلين الذين
تطاردهم اسرائيل وتسعى لتصفيتهم لخطورتهم عليها ،
وهم في الواقع يسرحون ويمرحون ومنهم رئيس بلدية
وعضو كنيسة .

والخلاصة أنه كما ينبغي لنا الاستعداد على الصعيد
المسكري والتنبه لاسلحة العدو وما يجد منها وخصائص
كل سلاح وفعاليتة فكذلك ينبغي الانتباه الى هذا
السلاح .. سلاح الاشاعة والاعلام ، وعدم الاغترار
بظاهر قول عدونا ، فان له أهدافا وراء هذا الظاهر .

خطر الاشاعة

تعتبر الاشاعة من أخطر الاسلحة الفتاكة والمدمرة للمجتمعات أو الاشخاص . وكم أقلقنا الاشاعة من أبرياء وحطمت عظماء وهدمت وشائج وتسببت في جرائم وفككت من علاقات وصداقات وكم هزمت من جيوش وأخرت من سير أقوام !؟

لخطرنا وجدنا الدول تهتم بها والحكام يرقبونها معتبرين اياها مقياس مشاعر الشعب نحو النظام صعوداً أو هبوطاً وبانين عليها توقعاتهم للأحداث سواء على المستوى المحلي أو الخارجي .

لسنا مبالغين حين نقول ان ما واجهه النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الافك هو حدث الأحداث في تاريخه عليه الصلاة والسلام . فلم يمكر بالمسلمين مكر أشد من تلك الواقعة ، وهي مجرد فرية واشاعة مختلقة

بيّنت السماء كذبها ، لكنها لولا عناية الله كانت قادرة على أن تعصف بالأخضر واليابس ولا تبقي على نفس مستقرة مطمئنة ، ولقد مكث مجتمع المدينة بأكمله شهراً كاملاً وهو يصطلي نار تلك القرية ويتعذب ضميره وتعصره الاشاعة الهوجاء ، حتى تدخل الوحي ليضع حداً لتلك المأساة الفظيعة ، وليكون درساً تربوياً رائعاً لذلك المجتمع ولكل مجتمع مسلم الى قيام الساعة وصدق الله :
« لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم » .

وللاشاعة قدرة على تفتيت الصف الواحد والرأي الواحد وتوزيعه وبعثرته ، فالناس أمامها بين مصدق ومكذب ومتردد متبلبل ، فغداً بها المجتمع الواحد والفئة الواحدة فئات عديدة ، ولتصور هذا الخطر وهذه الشرذمة التي تحدث والشروخ التي تصيب المجتمعات التي تحدث فيها الاشاعة نسوق هذا التصوير الرياضي لانتشار الاشاعة :

الانموذج الرياضي لانتشار الاشاعة :

ان القضية التي يخبر عنها أو تشاع في ظرف معين سواء كانت حقيقية أم من نسج الخيال ، فانها تجعل الأفراد ازاء سماع الخبر يتخذون مواقف متارجحة هنيهات قليلة ثم تستقر . ولكنها كلها تتراوح بين المواقف المؤيدة التي تتبنى الخبر كحقيقة مؤكدة وتدعو الآخرين لتبنيه والدعوة اليه . والمواقف التي تنفي الخبر وتسعى لتفنيده لدى الآخرين .

وتوجد بين هذين الموقفين مواقف عدة يتوزع افراد المجموعة حول كل منها توزعاً احصائياً قد ينتظم وفق أحد القوانين الاحصائية .

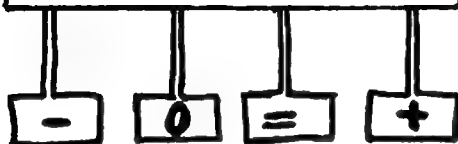
ان ما يحدث اذن هو تجزؤ المجموعة المفلقة الى مجموعات جزئية مفتوحة على بعضها بحيث يتمكن الأفراد من المرور فيما بينها بالاتجاهين .

وهذه مجموعة أشكال لتقريب المعنى وتصويره بطريقة رياضية :

الشائعة



المجموعة المغلقة



الاصطلاحات : (+) فئة المتجاوبين

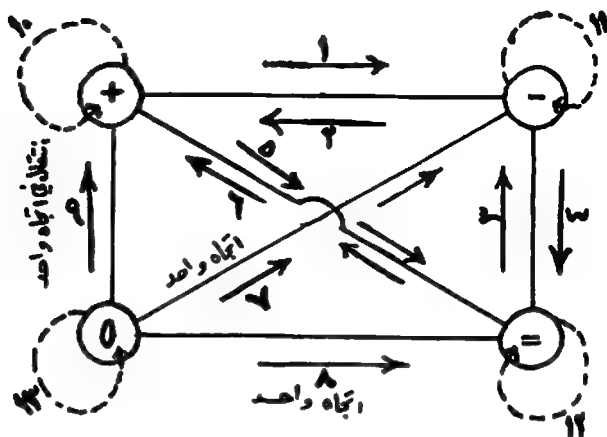
(-) فئة المنكرين

(=) فئة اللامبالين

(٥) فئة من لم يسمعوا بعد بالشائعة

ان عدد عناصر كل من هذه الفئات أو حجوما هي
 اعداد عشوائية ، ولكنها بمجموعها تشكل عدد أفراد
 المجموعة المغلقة . ولو عبرنا عن هذا بصورة معادلة
 رياضية لكانت : $(+) + (-) + (=) + (0) =$
 عدد أفراد المجموعة المغلقة .

أما تغير مواقف الأفراد وانتقالهم من موقع الى
 موقع ومن حالة الى حالة ، فيمكن أن نمثل له بالشكل
 الهندسي التالي :



تشير الاسهم الى امكانية الانتقال باتجاه أو بآخر
 أو بكلا الاتجاهين .

ومن خلال هذا الشكل نرى أن الطرق رقم ٧ ، ٨ ، ٩ هي طرق أحادية الاتجاه حيث أن الاتجاه المعاكس اتجاه مستحيل . بينما الطرق الستة الأولى ذات اتجاهين . بالإضافة الى هذه الطرق التسعة توجد طرق داخلية يعبر عنها في الشكل السوائر المنقطة التي تعبر عن وجود التحرك الذاتي للفرد الواحد من الفئة الواحدة سواء غير اتجاهه أم لم يغيره (١) .

ومعنى هذا وخلصته تقطيع وتوزع وتردد في متاهات ، وانشغال عن الخارج ، لأن كل هذه الحركة التي عبر عنها الرسم إنما هي جهد ضائع وانتقال سلبي لا جدوى معه ، ومعنى هذا أن العدو يستطيع أن يشل أي مجتمع وأن يقطعه ببث الشائعات ، كما رأينا من خلال الرسم ، ويحيله فئات وأممًا بعد الوحدة والاجتماع ما لم يكن هذا المجتمع معتصما بحبل متين كما ارادله الله .

« واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداءً فألفَ بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً » .

« ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

(١) مجلة الفكر العسكري سنة ٤ عدد ١ .

تفنيد ومقاومة الاشاعة

بعد ان علمنا خطر الاشاعة لا بد من معرفة وسائل التحصن منها والدفاع ضدها . وقد يتبادر الى الذهن أن توفير المعلومات الصحيحة يطفىء الاشاعة ، ويضيق عليها الخناق ، والحقيقة أن النظرة للموضوع بهذا الشكل تبسيط شديد للاشاعة ولعلاجها ، اذ قد تروج رغم توفر المعلومات الصحيحة ، لأن المعلومات والجدل ليسا كافيين لمحو الشائعات التي تعيش على المخاوف والأحقاد ، فهذه الشائعات تكمن دوافعها في نفوس مروجيها وليس من السهل انتزاعها منهم .

ومن هنا فقد كان لا بد في المعالجة من التفهم الشامل للقضايا المتعلقة بالاشاعة ، ولا بد قبل ذلك ومعه وبعده من تماسك اجتماعي وثقة متبادلة بين مختلف فئات الشعب ، وبين القاعدة والقمّة .

وقد نبه القرآن الكريم - في اجمال - الى علاج الاشاعة من خلال رده على مفتريات الافك واشاعات المنافقين حول البيت النبوي الطاهر ، فقال :

١ - « لولا اذ سمعتموه ظنّ المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً ، وقالوا هذا افك مبین » وهو ما أطلق عليه المرحوم سيد قطب في الظلال : طلب الدليل الداخلي ، وأورد حديث أبي أيوب الأنصاري وزوجه وسؤال كل منهما الآخر : أرأيت لو كنت مكان صفوان أو كنت مكان عائشة أكنت فاعلاً أو كنت فاعلة من ذلك شيئاً ، فيجيب كل منهما صاحبه : لا والله ، ثم يقولان : وصفوان خير مني • وعائشة خير مني •

فالأصل احسان الظن المتبادل بين المؤمنين والمؤمنات ما لم يثبت دليل قطعي ما يخرم ويخدش هذه الثقة كما قال الله تعالى :

« لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء ، فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون » • وهذا ما أطلق عليه الظلال : تطلب الدليل الخارجي •

٢ - ثم بينت سورة النور وسيلة علاج أخرى بعدم تداول الخبر فقالت :

« ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم » • وهذه في الواقع

أجدى وسيلة لهدم اشاعة ما ، لان حياة الاشاعة في
تناقلها وتداولها .

٣ - ووسيلة أخرى من وسائل العلاج التطويق
أو الهجوم غير المباشر بتنسيق وتعاون بين جهاز محاربة
الاشاعات وفئات الشعب ، وذلك عن طريق تسوية
مشكلة الاشاعة بالقضاء على المتاعب التي انطلقت منها
الاشاعة ، مثال ذلك أن يكون في مجتمع موضع غير
نظيف تنطلق منه أنواع الجراثيم ، فيكون الاجدى من
الانشغال بمقاومة هذه الجراثيم ازالة مصدرها ، وتطهير
البيئة من ذلك المنطلق العفن . فأسباب متاعب الشعب
وضيقه منطلق من منطلقات الاشاعة ، والأشخاص
المضيقون على معيشتهم هم أيضاً سبب آخر ، فللقضاء على
الاشاعات في هذا الجانب يحارب مصدرها .

فالعلاج القرآني يتلخص في التماسك الاجتماعي ،
وثقة المؤمنين ببعضهم ، ثم عدم اشاعة الفاحشة في
مجتمعهم بعدم تناقل الأخبار ، وعَدَّ ناقل الأخبار عن
الناس قاذفاً يستحق الجلد والعقاب الاجتماعي بعدم
قبول الشهادة .

هذا الضبط اللساني الشديد أدب وخلق حرصت
تعاليم هذا الدين على إيجاده في المسلمين • ففي القرآن
الكريم : « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ
فتبينوا » •

« والذين هم عن اللغو معرضون » • « واذا مروا
باللغو مروا كراماً » • « ولا تقف ما ليس لك به علم
ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه
مسؤولاً » •

« ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » •
« ولا يفتب بعضكم بعضاً يحب أحدكم أن يأكل لحم
أخيه ميتاً » • « ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة
في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة » •
وفي السنة : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فليقل خيراً أو ليصمت » •

« كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع » •
« كفى بالمرء اثماً أن يحدث بكل ما سمع » •
رواه مسلم •

« الغيبة ذكرك أخاك بما يكره » •

« وهل يكب الناس على وجوههم في النار الاحصاء »
السننهم .

وهذا العلاج تربوي اجتماعي يتم على مستوى الأمة كلها ومن خلال أجهزتها المختلفة من تربية وتعليم وتوجيه واعلام ، وكأي عملية تربوية فإنه يعطي ثمراته على المدى الطويل ، ويقاوم الحرب النفسية والاشاعات بأسلوب غير مباشر .

وقد يتخصص للاشاعة جهاز معين يتكون من فئات الأمة المختلفة ويضم الأجهزة المختلفة فيها من عسكريين واقتصاديين وتربويين وسياسيين وتكون مهمته دراسة ما يروجه الأعداء من حرب نفسية واشاعات ورددها من خلال أجهزة الاعلام المختلفة .

وتتركز أهمية هذا الجهاز في أوقات الأزمات والحروب وتستمر في الأيام العادية وهناك جملة ملاحظات ووصايا لهذا الجهاز ينبغي مراعاتها حتى يتحقق له النجاح الكامل ، منها :

١ - عدم الرد الفوري الارتجالي ، بل الدحض بعد المداولة والعرض على المختصين المعنيين .

٢ - ينبغي أن يكون الرد منطقياً مدعماً بالوقائع والأرقام ، اذ الرد الضعيف غير المدعم بالحقائق يقوض الثقة ، ويذهب بهيبة الجهاز .

٣ - عدم المغالاة ازاء الحالة المطروحة بالنفسي المطلق ، فكثير من الاشاعات فيها نواة للحقيقة ينبغي أن تذكر ، فتزداد الثقة حينئذ .

٤ - لا تنسب كل الاشاعات للعدو ، لما يترتب على ذلك من تضخيم صورة العدو في الذهن ومن عدم تصديق الجماهير لشعورهم أن هذه الجهة هي الشاعرة التي يعلق عليها الجهاز مشاكله .

٥ - ضرورة وضع الاشاعة في سياق انكاري قبلي وبعدي ، بمعنى ان تحاط الاشاعة بدءاً وختاماً بالانكار ، حتى يكون هناك تمهيد ذهني وتقرير فكري . أما أن تعرض الاشاعة مباشرة وبشكل فجائي بلا تمهيد فقد تعلق بالذهن .

٦ - حطم العبارة الأصل للاشاعة ، وذلك لان الاشاعة في الفاظها الأصل ملفتة للنظر مؤثرة ، فلا تعرض في ثوبها الأصل ، بل تعرض المعنى أو القضية

في ثوب مهلهل ، فالاشاعة تسهر على صقلها أجهزة
والسنة ، وتتهذب الفاظها بالتداول حتى تصبح في
أجمل قالب لفظي ، وأشدّه تأثيراً وأدعاه للتصديق .

٧ - اهمال الاشاعات الخاملة ، فما كل اشاعة
تستحق الرد والدرس ، فعدم اشغال الجماهير بالمتهافت
من الاشاعات أجدى وأكثر تأثيراً وجدية .

٨ - التزام الموضوعية في الرد ، بحيث لا يكون
الرد فرصة لا بداء وجهات النظر الخاصة .

٩ - العرض الجاد للاشاعة لا على أنها مجرد تسلية
أو فكاهة ، مع التنبيه على ما تتضمنه من أخطار .

١٠ - الحيطة في الرد ، والذكاء ، حتى لا يعمل
الجهاز على نشر الاشاعة بدلا من طمسها .

ويمكن للجهاز أن يستغل وسائل الاعلام ، وأن
يهاجم الاشاعة بملصقات أو عبارات قوية تكرر في تلك
الملصقات أو في الصحف والاذاعات مثل :

١ - الاشاعة كذب ، وانما يفترى الكذب الذين
لا يؤمنون .

- ٢ - الاشاعة ظن . وان الظن اكدب الحديث .
 - ٣ - الاشاعة وهم وخداع وتضليل .
 - ٤ - العاقل لا يعول على الاشاعة لانها غير جدرة بالثقة .
 - ٥ - الاشاعة سلاح من أسلحة العدو .
 - ٦ - الاشاعة تحطم المعنويات وخائن من ينشرها .
 - ٧ - الاشاعة اسقاط لما في النفس على الآخرين .
 - ٨ - الاشاعة وسيلة الجبان والحسود والمنافقين .
- وهناك وسيلة أخرى لمقاومة الاشاعة باستعمال السلاح نفسه الذي يستعمله الخصم ، وذلك عن طريق الاشاعة المضادة ، كما قال نوح عليه السلام : « ان تسخروا منا فائنا نسخر منكم كما تسخرون ، فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ، ويحل عليه عذاب مقيم » . على أن الاشاعة المضادة « لا يمكن أن تولد في أمة مريضة لا تمتلك قابلية الشفاء ، أما الأمة الاسلامية المحصنة فكرياً فيستطيع كل فرد فيها أن يرد السخرية على قائلها بدل أن ينشرها في صفوف الأمة .

والرأي العام في الاسلام يمتلك من الايجابيات ما يجعله قوة لها شأن في تثبيت اتجاهات الرأي العام ، وضرب الآراء المضادة ، وصد تيارات الاشاعة التي تأتي من الخارج ، (١) .

قال في كتاب الحوار في القرآن معلقاً على الآية الكريمة التي صدرنا بها هذه السطور : « ان بإمكان الداعية أن يستخدم أسلوب السخرية كرد فعل لسخرية خصومه فيما اذا استنفذ الوسائل الرسالية معهم دون جدوى لأن من غير الطبيعي أن يسكت ، أو يرد بالكلمة الطيبة في موقع تتحول الكلمة الطيبة فيه الى مجال للسخرية والاستهزاء .

ان أساليب السخرية التي يستخدمها خصوم الرسائل ، جزء من وسائل حرب الأعصاب التي يراد منها تدمير المؤمنين تدميراً معنوياً لدى أنفسهم ولدى الآخرين بما توحيه من اعطاء صورة واضحة عن قابلية الفكرة وأصحابها للسخرية ، ولاعتبارها موضعاً للتندر والاستهزاء ، مما يمنع الآخرين من الانتماء اليها خوفاً

(١) زهير الاعرجي : الرأي العام الاسلامي ، ص ٤٨ .

من التعرض لذلك ، ويضعف الروح المعنوية لدى أصحابها . ولهذا فانها لم تنشأ من حركة عفوية ، بل كانت خاضعة لخطة مدروسة . فلا بد من مواجهتها بخطة مثلها أو أفضل منها حيث يحشد فيها الدعاة كل ما لديهم من الموهبة الشخصية في فن السخرية والتندر بأفكار الآخرين وشخصياتهم كوسيلة من وسائل الدفاع عن النفس والعقيدة ، حتى ينتهي الأمر الى تحطيمهم نفسياً ومعنوياً ، بالسلاح نفسه الذي حاربونا به ، (٢) .



وهذه خلاصة وسائل علاج ومقاومة الشائعات :

- ١ - عدم ترديد الاشاعة .
- ٢ - رصد الشائعات وتحويلها الى جهاز مختص .
- ٣ - التماسك الاجتماعي والثقة المتبادلة وحسن الظن والتفسير الحسن لسلوك الناس وتصرفاتهم ما لم يثبت العكس بدليل قاطع .

(٢) محمد حسين فضل الله : الحوار في القرآن ، ص ٢٢٢ .

٤ - اصدار البيانات وتوفير المعلومات عن القضية
أو الموضوع الذي أثار غموضه ظنون الناس وشكوكهم
وهواجسهم وأطلق السنتهم بالاشاعة .

٥ - التهذيب الخلقي والتربية السليمة التي تطبع
الناس بالصدق والجهد والانصراف الى المهم وعدم التلهي
بمضغ الاحاديث ، وسفاسف الأمور .

٦ - التنسيق بين أجهزة الدولة المختلفة وخاصة
وسائل الاعلام لأن تناقضها يثير الخيال ويطلق الأقوال .

٧ - اقتفاء خط سير الاشاعة وتتبع مسارها
للوصول الى جذورها ووضع اليد على مطلقها ومحاسبتها
بحزم .

٨ - العلم بالاشاعة والتحليل السليم لها والفهم
القائم على الأسس العلمية ومعرفة الدوافع النفسية .

٩ - الصلة الوثقى بين القاعدة والقيمة بحيث يقطع
الطريق على كل محاولات الدخول بين الطرفين .

١٠ - الحرية والنقد الذاتي والتصحيح الفوري
الحازم للأخطاء .

وفي ختام الحديث عن مقاومة الاشاعة نقول ان المجتمع الاسلامي الذي صنعه المنهج الرباني هو أكثر المجتمعات تحصناً ضد الاشاعات ، ومناعة تجاه الحرب المعنوية • بما أوتي من تماسك ، ومن منهج في التفكير والاستدلال لا يأخذ بالظن ولا يتوقف عند الشكوك ، ومنهج أخلاقي يمنع الاغتياب ، والطعن في الأعراض ، والخوض في الحرمات ، ومن حراسة على هذه المبادئ جميعاً أن تمس •

بهذه جميعاً تفوق المجتمع الاسلامي على الدنيا في مقاومة الاشاعة ، ويملك أن يتفوق اليوم ويصمد لأي حرب نفسية ان اتبع المنهج نفسه واتخذ نفس الاحتياطات •

طرق الوقاية من الحرب النفسية في المجال العسكري خاصة

١ - « الايمان وقوة العقيدة : ان العقيدة الراسخة المؤسسة على الايمان الذي لا يتزعزع هي الركيزة العظمى للتحصين ضد الحرب النفسية » .

فالمؤمن ايمانياً كاملاً لا يخاف الوعيد ولا يرهب التهديد ، وليس جبناً رعيدياً كأولئك الذين يقول الله فيهم : « فاذا جاءَ الخوفُ رأيتهم ينظرون اليكَ تدورُ أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت » .

بل ان المؤمن لا يزيده التهديد والوعيد وأساليب الحرب النفسية المختلفة الا ايمانياً وثباتاً واستعداداً للبذل والتضحية كأولئك الذين قال الله فيهم :

« الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانياً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » . ويتفق علماء النفس وخبراء الحرب النفسية على أن الحرب النفسية تؤثر بفعالية أكثر على الجنود الخالين من العقائد الثابتة وذوي الوعي السياسي الضيق وغير المثقفين .

لذلك كان الايمان بالنسبة للمسلمين نوراً يهديهم
وكان بالنسبة للأعداء صخرة تتحطم عليها أساليبهم
ومحاولاتهم للنيل من مغنويات المسلمين .

٢ - الوعي والمعرفة بأهداف العدو وأساليبه في
الحرب النفسية .

عني القرآن أشد العناية بكشف أهداف أعداء
الاسلام والمسلمين من الكفار والمنافقين وأساليبهم
ومحاولاتهم للتفريق بين المسلمين والقضاء على وحدتهم
وأمتهم وللتخذيّل والتوهين وتشبيط العزائم ، وأرشد
المسلمين الى طريق مواجهتها ومقاومتها والقضاء عليها .

والواقع ان الوعي والمعرفة بأهداف العدو وأساليبه
في الحرب النفسية من أهم وسائل تحصين المقاتلين ضد
آثار تلك الحرب ، فهي من وجهة نظر علم النفس تجعل
المقاتل مستعداً استعداداً نفسياً لمواجهة التاثر
بها .

وهذا الوعي يكون عن طريق فضح محاولات التفرقة
ومقاومتها :

« يا أيها الذين آمنوا انْ تُطِيعُوا قَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ
اوتُوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين » .

وعن طريق كشف محاولات التخذيل وتشبيط
العزائم ، وتطهير الصف المسلم والجيش المسلم من
المخذلين :

« .. فان رجعت الله الى طائفة منهم فاستأذنوك
للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي
عدواً ، انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع
الخالفين » .

وعن طريق كشف محاولات زعزعة الثقة في النصر ،
سواء كانت من داخل الصف أو من خارجه ، وعن طريق
كشف التهوين من قيمة النصر أو الانجاز الذي أنجزه
الصف الاسلامي كما حدث بعد بدر .

وعن طريق القضاء على محاولات التخويف والضغط
النفسي ، ومن أمثلة محاولات التخويف من قبل اليهود
قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم لئن حاربناك لتعلمن
اننا نحسن الناس ، ومنها كذلك تخويف قريش
للمسلمين بعد أحد بأنها جمعت لهم .

٣ - كتمان الاسرار ومنع ترويح الشائعات :

ان توجيهات الاسلام تسد منافذ الحرب النفسية ،
ولا تعطي غير اهل العلم من القادة والرؤساء حق الحديث
عن كل ما يتصل بأسرار الجيش والأمة ، لأن هؤلاء
أدرى بما يصلح أن يقال وما لا يقال .

وفي ذلك الآية الكريمة : « واذا جاءهم أمر من
الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى
اولي الامر منهم لعلهم الذين يستنبطونه منهم » (١) .

وفي هذا الميدان يمكن أن نستفيد من تجارب
الشعوب كلها وخبرتها في هذا الحقل ، وكيف أن الوعي
يعني الانتصار ، وأن قلة الوعي والالتزام تعني الخذلان
والانهزام ، اذ من المعلوم أن المفاجأة في العمل العسكري
من اهم مقومات النصر . وكيف يتأتى لك أن تفاجيء
خصمك بسلاح أو بتعبئة أو بتكتيك أو خطة اذا كانت
عناصرك ثرثارة ، تزايد على بعضها بمعرفة المعلومات
وسعة الاطلاع ، والقرب من المصادر المسؤولة ومنابع
الأخبار .

وتعجب كيف استطاعت أمريكا أن تنشئ مصانع
هائلة للتفجير الذري وتفاجيء ألمانيا واليابان بهذا
السلاح ولم تشع جهة من الجهات الكثيرة المتعاملة مع
تصنيع هذا السلاح من مقاولين وعمال واساتذة جامعات،
ومجاورين ، ورجال اعلام ، كيف تكتمت كل هذه
الأطراف على سر هذا السلاح حتى فاجأوا خصمهم به
وحققوا حسم المعركة ؟!

(١) المخل الى العقيدة الاستراتيجية العسكرية الاسلامية باختصار
وتصرف من ص ١٢٥ - ص ١٣٤ .

خاتمة

هذه العجالة عن الاشاعة فاتحة لبحث مستفيض حولها يتضمن دراسة ميدانية تحليلية للاشاعات المطروحة .

وانما دفع الى تسويد هذه الصفحات كون ساحتنا واقعة تحت تأثير منخفض اعلامي اشاعي دنس يريد لها أن تستسلم لحلول تجهز في مطابخ السياسة الدولية التي تقودها أصابع الشيطان . فكان لا بد من جهد في هذا المضمار ، خاصة وأن المكتبة الاسلامية في حاجة الى تناول اسلامي لهذه الظاهرة ، وعرض لها من منطلقات المصلحة الحقيقية للجماهير ، والرؤية الصحيحة للواقع .

وكان لا بد من تحذير من أهداف العدو من خلال بحث هذه الظاهرة لأنها وثيقة الصلة به ، وبفهمهما نفهمه ، ونحذر منه ومن أهدافه .

وكان لا بد من التنبيه الى أن تضليل الجماهير بتضبيب واقعها ، وتغيب النوايا الحقيقية لعدوها هو من ضمن أهداف خصمنا . وأنه ينبغي الحذر والذكاء

بل الدهاء في معاملة مثل هذا الخصم ، فما يندد عنه
ويبرز من مقولاته شيء ، وما يضره ويخفيه شيء
آخر .

وعلى الأقدام المخلصة أن تتساعد في صياغة الواقع
الأفضل والمستوى الخلقي الأرفع حتى تتجنب أمتنا
مزالق الطريق وأشواك الدرب ، وحتى تستعلي على
المؤامرة ، وترتقي فوق هوة اليأس التي يدفعها إليها
العدو دفعا .

ويوم أن تتهدب تصوراتنا وأفكارنا وأخلاقنا
والسنتنا وظنوننا وعلاقاتنا ، يوم تسمو كل هذه ، أو
يوم تسلم كل هذه لله رب العالمين نكون قد اجتزنا
خندق الاشاعة ، ويكون واقعنا أعز وأمنع من أن تناله
سهام الطامعين وأحقاد الحاقدين وأراجيف المرجفين .

والحمد لله رب العالمين

الفهرس

٥	تمهيد
١٣	تعريف الاشاعة
١٣	تعريف لغوي
١٥	التعريف الاصطلاحي
	الاشاعة في التاريخ كما نستخلصها من
١٨	قصص القرآن
	اشاعة الجاهلية حول خاتم النبيين صلى الله
٣٠	عليه وسلم
٤٢	حملات الاشاعة في الفترة المدنية
	الاشاعة في الميدان العسكري من حياة
٤٦	الرسول صلى الله عليه وسلم
٥٦	شروط الاشاعة
٥٩	كيف تنشأ الاشاعة
٦٠	أسباب ظهور الاشاعة
٦٢	دوافع الاشاعة
٦٧	التفسير النفسي للاشاعة
٧٣	الاشاعة والتذكر
٧٨	أنواع الاشاعة
٨٣	تحليل الاشاعة
٩٥	الاشاعة في السلم والحرب

٩٧	أهداف الاشاعة في الحرب
١٠١	استراتيجية وتكتيك الاشاعة
١٠٥	الاشاعة والمثل والنكتة
١٠٩	الاشاعة والروح المعنوية
١١٤	الاشاعة والرأي العام
	الاشاعة والحرب النفسية بيننا وبين العدو
١١٧	الاسرائيلي
١٢٧	خطر الاشاعة
١٢٩	الانموذج الرياضي لانتشار الاشاعة
١٣٣	تفنيد ومقاومة الاشاعة
١٤٢	خلاصة وسائل علاج مقاومة الشائعات
	طرق الوقاية من الحرب النفسية في المجال
١٤٥	العسكري خاصة
١٤٩	خاتمة

مديرية المكتبات والوثائق الوطنية

رقم الايداع لدى

١٩٨٣/٦/ (٣٠١)